

شَرْحٌ

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام

موفق الدين ابن قدامة المقدسي

تأليف

الشيخ العلامة الإمام

محمد بن صالح العثيمين

ت ١٤٢١ هـ

كتاب ابن الجوزي
التأليف

شرح لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

تأليف

موفق الدين ابن قدامة رحمته الله

شرح الشيخ

محمد بن صالح بن عثيمين رحمته الله

الناشر

دار ابن الجوزي

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع ٢٣٢١٤ / ٢٠٠٥

دار ابن الجوزي

جمهورية مصر العربية - القاهرة
درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده رسوله ، صلى الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا .
أما بعد : فهذا تعليق مختصر على كتاب « لمعة الاعتقاد » الذي ألفه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، المولود في شعبان سنة ٥٤١ هـ بقرية من أعمال نابلس ، المتوفى يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠ هـ بدمشق رحمه الله .

وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه زبدة العقيدة ، ومن ثم قررت رئاسة المعاهد العلمية دراسته في مطلع القسم الثانوي في المعاهد في السنة الأولى منه ؛ ليكون ركيزة يعتمد عليها في هذه المرحلة .

ونظرًا لأهمية الكتاب موضوعًا ومنهجًا ، وعدم وجود شرح له ، فقد عقدت العزم - مستعينًا بالله مستلهمًا منه الصواب في القصد والعمل - على أن أضع عليه كلمات يسيرة تكشف غوامضه ، وتبين موارده ، وتبرز فوائده .

والله أرجو ألا يكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأن يمدني بروح من عنده وتوفيق ، وأن يجعل عملي مباركًا ونافعًا ، إنه جواد كريم .



قواعد هامة في الأسماء والصفات

وقبل الدخول في صميم الكتاب أحب أن أقدم قواعد هامة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته .

القاعدة الأولى : « في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته » :

الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير ؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، والنبي ﷺ يتكلم باللسان العربي ؛ فوجب إبقاء دلالة كلام الله وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان ، ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم ؛ وهو حرام ؛ لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤] .
فإن ظاهر الآية أن لله يدين حقيقتين ، فيجب إثبات ذلك له ، فإن قال قائل : المراد بهما القوة . قلنا له : هذا صرف للكلام عن ظاهره ، فلا يجوز القول به ؛ لأنه قول على الله بلا علم .

القاعدة الثانية : في أسماء الله .

وتحت هذه القاعدة فروع :

الفرع الأول : أسماء الله كلها حسنى ، أى بالغة في الحسن غايته ؛ لأنها منضمة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

مثال ذلك : « الرحمن » ، فهو اسم من أسماء الله تعالى ، دال على صفة عظيمة هي الرحمة الواسعة .

ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله : « الدهر » ؛ لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن ، فأما قوله ﷺ : « لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر »^(١) فمعناه : مالك الدهر المتصرف فيه ، بدليل قوله في الرواية الثانية عن الله تعالى : « يدي الأمر أقلب الليل والنهار »^(٢).

الفرع الثاني : أسماء الله غير محصورة بعدد معين ؛ لقوله ﷺ في الحديث المشهور : « أسألك اللهم بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك »^(٣) ، وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به .

والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح : « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة »^(٤) : أن معنى هذا الحديث : إن من أسماء الله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة . وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد ، ونظير هذا أن تقول : عندي مائة درهم أعددتها للصدقة . فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة .

الفرع الثالث : أسماء الله لا تثبت بالعقل ، وإنما تثبت بالشرع ، فهي توقيفية ، يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلا يزداد فيها ولا ينقص ؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء ، فوجب الوقوف في ذلك على الشرع ؛ ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه ، أو إنكار ما سمي به نفسه ، جناية في حقه تعالى ، فوجب سلوك الأدب في ذلك .

الفرع الرابع : كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله ، وعلى الصفة

(١) البخارى (٦١٨٢) ، ومسلم (٢٢٤٦) ، وأحمد ٥/٢٩٩ ، ٣١١ .

(٢) البخارى (٦١٨١) ، ومسلم (٢٢٤٦) ، وأبو داود (٥٢٧٤) .

(٣) أحمد ١/٣٩١ ، ٤٥٢ ، والطبراني (١٠٣٥٢) ، وابن حبان ٣/٣٧٢ ، والحاكم ١/٥٠٩ ، وصححه

الألبانى في السلسلة الصحيحة (١٩٩) .

(٤) البخارى (٢٧٣٦) ، ومسلم (٥/١٧) .

التي تضمنها ، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعديا ، ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله .

مثال ذلك في غير المتعدى : « العظيم » فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسما من أسماء الله دالا على ذاته تعالى ، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي العظمة . ومثال ذلك في المتعدى : « الرحمن » ، فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسما من أسماء الله دالا على ذاته تعالى ، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة ، وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء .

القاعدة الثالثة : « في صفات الله » :

وتحتها فروع أيضا :

الفرع الأول : صفات الله كلها غلّيا ، صفات كمال ومدح ، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ؛ كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والحكمة ، والرحمة ، والعلو ، وغير ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [التحل: ٦٠] . ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته .

وإذا كانت الصفة نقصا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه ؛ كالموت ، والجهل ، والعجز ، والصمم ، والعمى ، ونحو ذلك ؛ لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص ، ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص ، ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصا ، لمنافاة النقص للربوبية .

وإذا كانت الصفة كمالا من وجه ونقصا من وجه ، لم تكن ثابتة لله ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق ، بل لأبد من التفصيل ، فثبت لله في الحال التي تكون كمالا ، وتمتنع في الحال التي تكون نقصا ؛ كالمكر ، والكيد ، والخداع ، ونحوها فهذه الصفات تكون كمالا إذا كانت في مقابلة مثلها ؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله ، وتكون نقصا في غير هذه الحال ، فثبت لله في الحال الأولى دون الثانية .

قال الله تعالى : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ،
 ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦] ، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ
 اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] . إلى غير ذلك .

فإذا قيل : هل يوصف الله بالمكر مثلاً ؟

فلا تقل : نعم ، ولا تقل : لا ، ولكن قل : هو ما كر بمن يستحق ذلك ، والله أعلم .

الفرع الثاني : صفات الله تنقسم إلى قسمين : ثبوتية ، وسلبية :

فالثبوتية : ما أثبتها الله لنفسه ؛ كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، ويجب إثباتها لله
 على الوجه اللائق به ؛ لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته .

والسلبية : هي التي نفاهها الله عن نفسه ، كالظلم ، فيجب نفياها عن الله ؛ لأن
 الله نفاه عن نفسه ، لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل ؛ لأن
 النفي لا يكون كاملاً حتى يتضمن ثبوتاً .

مثال ذلك : قوله تعالى : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] . فيجب نفي
 الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل .

الفرع الثالث : الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين : ذاتية ، وفعلية .

فالذاتية : هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها ، كالسمع والبصر .

والفعلية : هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ،
 كالاستواء على العرش ، والمجيء .

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين ، كالكلام ، فإنه باعتبار أصل الصفة
 صفة ذاتية ؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية ؛ لأن
 الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء .

الفرع الرابع : كل صفة من صفات الله فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة :

السؤال الأول : هل هي حقيقية ؟ ولماذا ؟

السؤال الثاني : هل يجوز تكيفها ؟ ولماذا ؟

السؤال الثالث : هل تماثل صفات المخلوقين ؟ ولماذا ؟

فجواب السؤال الأول : نعم حقيقية ؛ لأن الأصل في الكلام الحقيقة ، فلا يعدل عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها .

وجواب الثاني : لا يجوز تكيفها ؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] . ولأن العقل لا يمكنه إدراك كيفية صفات الله .

وجواب الثالث : لا تماثل صفات المخلوقين ؛ لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ، ولأن الله مُسْتَحَقُّ للكمال الذي لا غاية فوقه فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص .

والفرق بين التمثيل والتكيف أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل ، والتكيف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل .

مثال التمثيل : أن يقول قائل : يد الله كيد الإنسان .

ومثال التكيف : أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين ، فلا يجوز هذا التخيل .

القاعدة الرابعة : فيما نرد به على المعطلة .

المعطلة هم الذين ينكرون شيئاً من أسماء الله أو صفاته ، ويحرفون النصوص عن ظاهرها ، ويقال لهم : « المثلثة » ، والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول : إن قولهم خلاف ظاهر النصوص ، وخلاف طريقة السلف ، وليس عليه دليل صحيح ، وربما يكون في بعض الصفات وجه رابع أو أكثر .



مقدمة لمعة الاعتقاد

قال الشيخ الإمام العالم الأوحّد، شرف الإسلام، مفتى الفرق، قدوة الأنّام، أوحّد الزمان، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي - قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه - :

بسم الله الرحمن الرحيم

« لمعة الاعتقاد » :

« **اللمعة** » : تطلق في اللغة على معاني منها : البلغة من العيش^(١) ، وهذا المعنى أنسب معنى لموضوع هذا الكتاب ، فمعنى لمعة الاعتقاد هنا : البلغة من الاعتقاد الصحيح المطابق لمذهب السلف رضوان الله عليهم . والاعتقاد : الحكم الذهني الجازم ، فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد .

ما تضمنته خطبة الكتاب :

تضمنت خطبة المؤلف في هذا الكتاب ما يأتي :

١ - البداية بالبسملة ، اقتداءً بكتاب الله العظيم ، واتباعاً لسنة رسول الله ﷺ .

ومعنى « بسم الله الرحمن الرحيم » : أي أفعل الشيء مستعيناً ومتبركاً بكل اسم من أسماء الله تعالى الموصوف بالرحمة الواسعة .

ومعنى « **الله** » : المألوه أي ، المعبود حبا وتعظيماً وتألهاً وشوقاً .

و« **الرحمن** » : ذو الرحمة الواسعة .

و« **الرحيم** » : الموصل رحمته من شاء من خلقه .

فالفرق بين الرحمن والرحيم أن الأول باعتبار كون الرحمة وصفاً له ، والثاني باعتبارها فعلاً له يوصلها من شاء من خلقه .

(١) البلغة من العيش : ما يبلغ به ، وتبلغ بكذا أي اكتفى به . (مختار الصحاح ٢٦/١) .

١- **أحمدُ اللهُ للمحمودِ كلَّ لسانٍ** . المعبودُ في كلِّ زمانٍ ، الذي لا يخلو من عليه مكانٌ ، ولا يشغله شأنٌ عن شأنٍ ، جلَّ عن الأشباه والأندادِ ، وتنزهه عن الصاجية والأولادِ ، وفقد حكمه في جميع العبادِ ، لا تمثله العقولُ بالتفكير ، ولا تنوّهه القلوبُ بالتصوير ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

٢- **له الأسماءُ الحسنى واصفَتُ العلى** : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ⑤ **لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى** ⑥ **وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَخَفَى** [طه ٥٠ - ٧] . أحاط بكلِّ شيءٍ علماً ، وقهر كلَّ مخلوقٍ

٢- **الثناء على الله بالحمد ، والحمد** : ذكر أوصاف المحمود الكاملة وأفعاله الحميدة مع المحبة له والتعظيم .

٣- **أد الله محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان ، أى مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة .**

٤- **سعة علم الله بكونه لا يخلو من علمه مكان ، وكمال قدرته وإحاطته حيث لا يليه أمر عن أمر .**

٥- **عظمته وكبرياؤه وترفعه عن كل شبيه وند مماثل ؛ لكمال صفاته من جميع الوجوه .**

٦- **تنزهه وتقديسه عن كل زوجة وولد ، وذلك لكمال غناه .**

٧- **تمام إرادته وسلطانه بنفوذ قضائه في جميع العباد ، فلا يمنعه قوة ملك ولا كثرة عدد ومال .**

٨- **عظمة الله فوق ما يتصور بحيث لا تستطيع العقول له تمثيلاً ، ولا تنوّه القلوب له صورة ؛ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .**

٩- **اختصاص الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى .**

١٠- **استواء الله على عرشه ، وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق به .**

١١- **عموم ملكه للسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى .**

عِزَّةٌ وَحُكْمًا ، وَوَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [ص ١١٠] . موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم ، وعلى لسان نبيه الكريم .

فصل في توحيد الأسماء والصفات

٣ - وكل ما جاء في القرب ، أو ضح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن ، وجب الإيمان به ، وتلقيه بالتسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل ، والتشبيه والتمثيل .

٤ - وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً . وترك التعرض لمعناه ، ونرد علمه إلى قائله ، ونجعل غهده على ناقله ، اتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله

١٢ - سعة علمه ، وقوة قهره وحكمه ، وأن الخلق لا يحيطون به علماً لقصور إدراكهم عما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة .

تقسيم نصوص الصفات وطريقة الناس فيها :

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين : واضح جلي ، ومشكل خفي .

فالواضح : ما اتضح لفظه ومعناه ، فيجب الإيمان به لفظاً ، وإثبات معناه حقاً بلا رد ولا تأويل ، ولا تشبيه ولا تمثيل ؛ لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به ، وتلقيه بالقبول والتسليم .

وأما المشكل : فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالاته ، أو قصر في فهم قارئه ، فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به ، والتوقف في معناه وترك التعرض له ؛ لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه ، فنرد علمه إلى الله ورسوله .

وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقتين :

الطريقة الأولى : طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا :

عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] .

• وفي دة مُتبعي تأويل تمتشابه تربيته ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا فَشَنَّهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ .
فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزَّيْغ ، وقرَّنه بابتغاء الفتنة في الذم ، ثم حجبهم عما أمَّلوه ، وقطع أطماعهم عما قصدوه ، بقوله سبحانه : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ .

كل من عند ربنا ، وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به . تعظيماً لله ورسوله وتادباً مع النصوص الشرعية ، وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ .

الطريقة الثانية . طريقة الزائعين الذين اتبعوا المتشابه طلباً للفتنة وصداً للباس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح ، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده الله ورسوله ، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض ، وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضة والنقص ليشتكوا المسلمين في دلالتها ويعموهم عن هدايتها ، وهؤلاء هم الذين ذمهم الله بقوله : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا فَشَنَّهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ .

تحرير القول في النصوص من حيث الوضوح والإشكال

إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي ، يختلف فيه الناس بحسب العلم والفهم ، فقد يكون مشكلاً عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر ، والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط في معناه .

أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد الله ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم وديباهم ؛ لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين ، وبيان للناس ، وفرقان ، وأنه أنزله تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة ، وهذا يقتضي

ألا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع، بحيث لا يمكن أحدا من الأمة معرفة معناه.

معنى الرد، والتأويل، والتشبيه، والتمثيل، وحكم كل منها

الرد: التكذيب والإنكار. مثل أن يقول قائل: ليس لله يد لا حقيقة ولا مجازا. وهو كفر لأنه تكذيب لله ورسوله.

والتأويل: التفسير، والمراد به هنا تفسير نصوص الصفات بغير ما أراد الله بها ورسوله وبخلاف ما فسرها به الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وحكم التأويل على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون صادرا عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تيسر له الحق رجع عن تأويله، فهذا مغفور عنه؛ لأن هذا منتهى وسعه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الثاني: أن يكون صادرا عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية، فهو فسق وليس بكفر، إلا أن يتضمن نقضا أو عيبا في حق الله فيكون كفرا.

القسم الثالث: أن يكون صادرا عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية، فهذا كفر؛ لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له.

والتشبيه: إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله، ويتضمن النقص في حق الله حيث شبهه بالمخلوق الماقصر.

والتمثيل: إثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله وتكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. ويتضمن النقص في حق الله حيث مثله بالمخلوق الناقص.

وبصرف بين التمثيل والتشبيه أن التمثيل يقتضى المساواة من كل وجه بخلاف التشبيه.

فصل في كلام أئمة السلف في الصفات

٦- قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - رضى الله عنه - في قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»، و«إِنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْقِيَامَةِ»^(١)، وما أشبه هذه الأحاديث: نُؤْمِنُ بِهَا، وَنُصَدِّقُ بِهَا، لَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى، وَلَا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ، وَلَا نَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَصِفُ اللَّهَ بِأَكْثَرِ مَثَلٍ وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بَلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ونقول كما قال، ونصفه بما وصف

ما تضمنه كلام الإمام أحمد في أحاديث النزول وشبهها:

تضمن كلام الإمام أحمد رحمه الله الذي نقله عنه المؤلف ما يأتي:

١- وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن رسول الله ﷺ من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص ولا حد ولا غاية.

٢- أنه لا كيف ولا معنى؛ أي لا نكيف هذه الصفات؛ لأن تكيفها ممتنع؛ لما سبق، وليس مراده أنه لا كيفية لصفاته؛ لأن صفاته ثابتة حقاً، وكل شيء ثابت فلا بد له من كيفية، لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا.

وقوله **ولا معنى**. أي: لا تثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل، وليس مراده نفى المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرهما به السلف فإن هذا ثابت.

ويش على هذا قوله: «ولا نرد شيئاً منها». ونصفه بما وصف به نفسه، ولا يريل عنه صفة من صفاته لشناعة شنت، ولا نعلم كيفية كنه ذلك». فإن نفيه لرد شيء منها، ونفيه لعلم كيفيةها، دليل على إثبات المعنى المراد بها.

(١) سيأتي تخريجه ص ٢٧.

(٢) صحيح ابن حبان ١/٢٥٩، والتمهيد لابن عبد البر ٤/٢٢٠.

به نفسه ، لا تتعدى ذلك ، ولا يتلغفه وصف الواصفين ، تؤمن بالقرآن كله مُحْكَمِه ومُتَشَابِهِه ، ولا تُزِيلُ عنه صفة من صفاته لشاعة شُغْعَتْ ، ولا تتعدى القرآن والحديث ، ولا نعلم كيف كُنْه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن .

٧ **قوله إمامنا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه**
آمَنْتُ بِاللَّهِ وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله .

٨ **وعلى هـ درج سلف ، وأئمة حنف ، رضي الله عنهم .** كلهم مُتَقَفُّون على الإقرار والإقرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله ، من غير تعرض لتأويله .

٣- وجوب الإيمان بالقرآن كله مُحْكَمِه ، وهو ما اتضح معناه ، ومتشابهه وهو ما أشكل معناه ، فنرد المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه ، فإن لم يتضح وحب الإيمان به لفظاً ، وتفويض معناه إلى الله تعالى .

● ما تضمنه كلام الإمام الشافعي :

تضمن كلام الإمام الشافعي ما يأتي :

١- الإيمان بما جاء عن الله تعالى في كتابه المبين على ما أَرَادَهُ الله من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف .

٢- الإيمان بما جاء عن رسول الله ﷺ في سنة رسول الله ﷺ ، على ما أَرَادَهُ رسول الله ﷺ ، من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف .

وفي هذا الكلام رد على أهل التأويل وأهل التمثيل ؛ لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله ، فإن أهل التأويل نقصوا ، وأهل التمثيل زادوا .

طريق السلف الذي درجوا عليه في الصفات

الذي درج عليه السلف في الصفات هو الإقرار وإثبات ما ورد من صفات الله

فصل في الترغيب في السنة والتحذير من البدعة

٩- وقد أمرنا بالافتقار لأثرهم ، والاهتداء بمنايرهم ، وحذّرنا المحدثات ، وأخبرنا أنها من الضلالات .

فقال النبي ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ،

تعالى في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله .

والافتقار بهم في ذلك واجب ؛ لقوله ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواخذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » . رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح . وصححه الألباني وجماعة^(١) .

السنة والبدعة وحكم كل منهما :

السنة لغة : « الطريقة » .

و اصطلاحاً : « ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل » .

واتباع السنة واجب ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْحُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وقوله ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواخذ » .

والبدعة لغة : « الشيء المستحدث » .

و اصطلاحاً : « ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل » .

(١) أبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٢ ٤٤) ، وأحمد (١٢٦/٤) ، وصححه الألباني في الإرواء (٢٤٥٥) .

غَضُوا عَلَيْهَا بِالتَّوَجُّدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا ، فَقَدْ كُفِّتُمْ »^(١) .

وهي حرام ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] .
وقوله ﷺ : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .
الآثار الواردة في الترغيب في السنة والتحذير من البدعة .

١- من أقوال الصحابة :

قال ابن مسعود رضي الله عنه الصحابي الجليل المتوفى سنة ٣٢ هـ عن بضع وستين سنة :

« نعوذ أي التزموا آثار النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقص .

« ولا تبتدعوا » : لا تحدثوا بدعة في الدين .

« فقد كففت » أي كفاكم السابقون مهمة الدين ، حيث أكمل الله تعالى الدين لنبيه ﷺ ، وأنزل قوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [الفائدة: ٣] .

فلا يحتاج الدين إلى تكميل .

٢- من أقوال التابعين :

قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المولود سنة ٦٣ هـ المتوفى سنة ١٠١ هـ قولاً يتضمن ما يأتي :

أ- وجوب الوقوف حيث وقف القوم - يعني بهم النبي ﷺ وأصحابه - فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملاً ، لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة ، ولو كان فيما حدث بعدهم خير لكانوا به أخرى .

(١) سنن الدارمي (٢٠٥) ، والمعجم الكبير (٨٧٧٠) ، وشعب الإيمان (٢٢١٦) .

وقال عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - كلاماً معه : قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ ؛ فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا ، وَبِصِيرٍ نَافِذٍ كَفُّوا ، وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى ، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحَرَى ، فَلَيْتَ قُلْتُمْ : حَدَّثَ بَعْدَهُمْ ، فَمَا أَحَدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ ، وَرَغِبَ عَنْ سَبِيلِهِمْ ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي ، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي ، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسَّرٌ ، وَمَا دُونَهُمْ مُقْصَرٌ ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَعَلُوا ، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَعَلُوا ، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هَدًى مُسْتَقِيمٍ .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي - رضى الله عنه - : عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخَرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ .

١- أن ما أحدث بعدهم فليس فيه إلا مخالفة هديهم ، والزهد في سنتهم ، وإلا فقد وصفوا من الدين ما يشفى ، وتكلموا فيه بما يكفى .

٢- أن من الناس من قصر في اتباعهم فكان حافياً ، ومن الناس من تجاوز فكان غالياً ، والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير .

٣- من أقوال تابعي التابعين :

قال الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧هـ :

(عَيْتَ آثَارِ مَنْ سَلَفَ) : الزم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان ؛ لأنها مبنية على الكتاب والسنة .

(وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ) : أبعدوك واجتنبوك .

(وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ) : احذر آراء الرجال ، وهى ما قيل بمجرد الرأى من غير استناد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(وَإِنْ زَخَرَفُوهُ) : جمعوا النطق وحسوه ، فإن الباطل لا يعود حقاً بزخرفته وتحسينه .

مناظرة حرت عبد حيفة بن لأدرمي وصاحب بدعة :

لم أطلع على ترجمة للأدرمي ومن معه ، ولا أعلم نوع البدعة المذكورة ، والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقاً لكيفية المناظرة بين الخصوم . وقد بنى

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي رحمه الله: نكتم بدعة مدعي دين الله هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها. قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء عبيته؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها. قال: أفوسعهم ألا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلى، وسعهم. قال: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه، لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل، فقال الخليفة - وكان حاضرا - : لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم.

الأدرمي رحمه الله مناظرته هذه على مراحل ليغير من كل مرحلة إلى التي تليها حتى يفهم خصمه.

المرحلة الأولى: «العلم» فقد سأله الأدرمي: هل علم هذه البدعة النبي ﷺ وخلفاؤه؟ قال البدعي: لم يعلموها.

وهذا النفي يتضمن انتقاص النبي ﷺ وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين، ومع ذلك فهو حجة على البدعي إذا كانوا لا يعلمونه، ولذلك انتقل به الأدرمي إلى:

المرحلة الثانية: إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت؟ هل يمكن أن يحجب الله عن رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين علم شيء من الشريعة ويفتحه لك؟ فراجع البدعي وقال: أقول: قد علموها. فانتقل به إلى:

المرحلة الثالثة: إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم، أي أمكنهم ألا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟ فأجاب البدعي بأنهم وسعهم السكوت وعدم الكلام.

فقال له الأدرمي: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت، فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب؛ لأن الباب اتسد أمامه.

وهكذا من لم يَسْعَ ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ،
والأئمة من بعدهم ، والراسخين في العلم ، من تلاوة آيات الصفات ، وقراءة
أخبارها ، وإمرارها كما جاءت ، فلا وسّع الله عليه .



فصوب الخليفة رأى الأدرمي ، ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبي ﷺ
وخلفاءه .
وهكذا كل صاحب ناطل من بدعة أو غيرها لا بد أن يكون ماله الانقطاع عن
الجواب .



فصل في ذكر بعض آيات الصفات

١٠- فِيمَا جَاءَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ :

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

الصفات التي ذكرها المؤلف

من صفات الله تعالى

ذكر المؤلف رحمه الله من صفات الله الصفات الآتية وستكلم عليها حسب ترتيب المؤلف .

الصفة الأولى : «الوجه» :

الوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ .

وقال السيوطي رحمه الله : «إِنَّكَ لَنْ تَنفَقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا»^(١) . متفق عليه .

وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى .

فيجب إثباته له بدون تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو وجه حقيقي يليق بالله .

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب . ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .



(١) البخاري (٦٧٣٣) ، ومسلم (١٦٢٨) ، وأبو داود (٢٨٦٤) ، والترمذي (٢١١٦) .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] .

الصفة الثانية: «اليدان» .

اليدان من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف .

قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ .

وقرأ لسي رحمه الله . «يمين الله ملأى ، لا يغيبها نفقة ، سحاء الليل والنهار» إلى قوله : « بيده الأخرى القبض يرفع ويخفض » . رواه مسلم والبخارى معاه .
وأجمع السلف على إثبات اليدين لله ، فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، وهما يدان حقيقتان لله تعالى يليقان به .

وقد فسرهما أهل التعطيل بالعممة أو القدرة ونحوها . ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة ، وبوجه رابع أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعاً كقوله تعالى : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] . وقوله ﷻ : «وبيده الأخرى القبض» .

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها .

الأول : الأفراد . كقوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدُهُ الْمَلَكُ﴾ [الملك: ١] .

الثاني : التشبيه . كقوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ .

الثالث : الجمع . كقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١] .

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول :

الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الشئيين ، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر ، وحينئذ لا ينافي التشبيه ، على أنه قد قيل : إن أقل الجمع اثنان ، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التشبيه أصلاً .

وقوله تعالى إحصِ عن عيسى عليه السلام أنه قال ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] .

وقوله سبحانه : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] .

وقوله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] .

الصفة الثالثة : النفس .

النفس ثابته لله تعالى بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى . ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأعام: ٥٤] . وقال عن عيسى أنه قال : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ .

وقال السيوطي رحمه الله : « سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، ورتة عرشه ، ومداد كلماته » . رواه مسلم^(١) .

وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به ، فيجب إثباتها لله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

الصفة الرابعة : المجيء .

مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ . و ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ .

وقال السيوطي رحمه الله : « حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم رب العالمين » . متفق عليه^(٢) . في حديث طويل .

وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى .

فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو مجيء حقيقى يليق بالله تعالى .

(١) مسلم (٢٧٢٦) ، وأبو داود (١٥٠٣) ، والنسائي (١٦١) .

(٢) البخارى (٧٤٣٧) ، ومسلم (١٨٢) .

وفوه تعالى ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] .

وفوه تعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] .

وقد فسر أهـل التعطيل بمعنى أمره . ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

الصفة الخامسة : «الرضا» .

الرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ .

وقال النبي ﷺ : «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها» . رواه مسلم^(١) .

وأجمع السلف على إثبات الرضا لله تعالى ، فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو رضا حقيقى يليق بالله تعالى ، وقد فسر أهـل التعطيل بالثواب . ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

الصفة السادسة : «المحبة» .

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : ﴿مَنْ مَّا يَأْتِ اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ .

وقال النبي ﷺ يوم خيبر : «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله» . متفق عليه^(٢) .

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله ، يُحِبُّ ، ويُحَبُّ .

فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

(١) مسلم (٢٧٣٤) ، والترمذى ٣/ ١٠٠ ، ١١٧ .

(٢) البخارى (٣٧٠١) ، ومسلم (٢٤٠٥) ، وأحمد ٥/ ٣٣٣ .

- وفوره في الكفار . ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤] .
 وفوره تعالى . ﴿اتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ [محمّد: ٢٨] .

وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى ، وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب ، والرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

الصفة السابعة : « الغضب » .

الغضب من صفات الله الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .
 قال الله تعالى فيمن قتل مؤمنا متعمدا : ﴿وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَمَنَّهُ﴾ [النساء: ٩٣] .
 وقال النبي ﷺ : « إن الله كتب كتابا عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي » .
 متفق عليه .

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله ، فيحب إثباته من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكيف ، ولا تمثيل .

وهو غضب حقيقى يليق بالله ، وفسره أهل التعطيل بالانتقام ، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة ، وبوجه رابع : أن الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالى : ﴿فَلَمَّا أَتَسَفَوْنَا﴾ أى أغضبونا ﴿أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الحرز: ٥٥] . فجعل الانتقام نتيجة للغضب ، فدل على أنه غيره .

الصفة الثامنة : « السخط » .

السخط من صفات الله الثابتة بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .
 قال الله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ .
 وكان من دعاء النبي ﷺ : « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ... » . الحديث رواه مسلم^(١) .

(١) البخارى (٣١٩٤) ، ومسلم (٢٧٥١) ، وأحمد ٢/٢٤٢ ، ٢٥٨ .

(٢) مسلم (٤٨٦) ، وأبو داود (٨٧٩) ، والترمذى (٣٤٩٣/٧٦) .

وقوله تعالى : ﴿كَرِهَ اللَّهُ أَنْبَاءَهُمْ﴾ [الثورة: ٤٦] .



وأجمع السلف على ثبوت السخط لله فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكيف ، ولا تمثيل .
وهو سخط حقيقي يليق بالله ، وفسره أهل التعطيل بالانتقام . ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

الصفة التاسعة : الكراهة .

الكراهة من الله لمن يستحقها ثابتة بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .
قال الله تعالى : ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَنْبَاءَهُمْ﴾ .
وقال النبي ﷺ : « إن الله كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .
رواه البخاري^(١) .

وأجمع السلف على ثبوت ذلك لله فيجب إثباته من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكيف ، ولا تمثيل .
وهي كراهة حقيقية من الله تليق به ، وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد . ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

(١) البخاري (١٤٧٧) ، ومسلم (٥٩٣) ، وأحمد ٢٤٦ / ٤ .

فصل في ذكر بعض أحاديث الصفات

١١- ومن الشئ :

قوله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا »^(١) .
وقوله ﷺ : « يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءٌ »^(٢) .

الصفة العاشرة : « النزول » .

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة ، وإجماع السلف .
قال النبي ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ... » الحديث متفق عليه .
وأجمع السلف على ثبوت النزول لله فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ،
ولا تكيف ، ولا تمثيل .

وهو نزول حقيقي يليق بالله ، وفسره أهل التعطيل بنزول أمره ، أو رحمته ، أو ملك
من ملائكته ، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة ، وبوجه رابع : أن الأمر ونحوه لا
يمكن أن يقول : من يدعوني فأستجيب له ... إلخ .

الصفة الحادية عشرة : « العجب » .

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .
قال الله تعالى : (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) . على قراءة ضم التاء .
وقال النبي ﷺ : « يعجب ربك من الشاب ليست له صوة » رواه أحمد وهو في
« المسند » (١٥١/٤) عن عقبة بن عامر مرفوعاً وفيه ابن لهيعة .

(١) البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) ، وأبو داود (١٣١٥) ، والترمذي (٧٩) / ٣٤٩٨ .

(٢) أحمد ١٥١/٤ ، والطبراني ٨٥٣/١٧ ، وضعه الألباني في ضعيف الجامع (١٦٥٨) .

وقوله: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ»^(١).

فهذا وما أشبهه ممّا صَحَّ سندهُ وعُدَّتْ روايتهُ نُومُنٌ به، ولا نَرُدُّه، ولا

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله .

فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو عجب حقيقي يليق بالله ، وفسره أهل التعطيل بالمجازاة ، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

والعجب نوعان :

أحدهما . أن يكون صادرا عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه ، وهذا النوع مستحيل على الله ؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء .

الثاني أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره ، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب ، وهذا هو الثابت لله تعالى .

الصفة الثانية عشرة : «الضحك» .

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة ، وإجماع السلف .

قال النبي ﷺ : «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، ثُمَّ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ» . وتمايم الحديث : «يقاتل في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد» . متفق عليه .

وأجمع السلف على إثبات الضحك لله ، فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى ، وفسره أهل التعطيل بالثواب .

ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة .

(١) البخاري (٢٨٢٦) ، ومسلم (١٨٩٠) .

نَجَحْدُهُ ، ولا نتأوُّله بتأويل يُخالفُ ظاهره ، ولا نُشَبِّهه بصفات المخلوقين ، ولا بسمات المُخْدِثين ، ونعلمُ أنَّ الله سبحانه وتعالى لا شَبِيهَ له ولا نظيرَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، وكلُّ ما يُحِيلُ في الذَّهْنِ أو خَطَرَ بالبال ، فإنَّ الله تعالى بخلافه .

ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] .

الصفة الثالثة عشرة : « الاستواء على العرش »

استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف . قال الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ . وذكر استواءه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن .

وقال النبي ﷺ : « إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي » رواه البخاري .

وقال النبي ﷺ فيما رواه أبو داود في « سننه » : « إن بعد ما بين سماء إلى سماء إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سة » . إلى أن قال في العرش : « بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله تعالى فوق ذلك » وأخرجه أيضا الترمذي ، وابن ماجه ، وفيه علة أجاب عنها ابن القيم رحمه الله في « تهذيب سنن أبي داود » (٩٢/٧ - ٩٣) .

وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه .

فيجب إثباته من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكيف ، ولا تمثيل .

(١) أبو داود (٤٧٢٣ - ٤٧٢٥) ، والترمذي (٣٢٩٨) ، وضعه الألباني في السلسلة الضعيفة .

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] .

وهو استواء حقيقي ، معناه : العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى .
وقد فسرهُ أهل التعطيل بالاستيلاء . ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة ونريد
وجهها رابعا : أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى . ووجهها حامسا : أنه يلزم عليه
لوازم باطلة ، مثل أن العرش لم يكن ملكا لله ثم استولى عليه بعد .
والعرش لغة : السرير الخاص بالملك .

ومى الشرع : العرش العظيم الذى استوى عليه الرحمن جل جلاله ، وهو أعلى
المخلوقات وأكبرها ، وصفه الله بأنه عظيم ، وبأنه كريم ، وبأنه مجيد .
والكرسى غير العرش ؛ لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى ، والكرسى موضع
قدميه ؛ لقول ابن عباس رضى الله عنهما : « الكرسى موضع القدمين ، والعرش لا يقدر
أحد قدره »^(١) . رواه الحاكم فى « مستدركه » ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه .

الصفة الرابعة عشرة : « العلو » .

العلو من صفات الله الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .
قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ أَلَمُّ الْكَبِيرِ﴾ [النقرة: ٢٥٥] .
وكان النبى ﷺ يقول فى صلاته فى السجود : « سبحان ربي الأعلى »^(٢) . رواه
مسلم من حديث حذيفة .
وأجمع السلف على إثبات العلو لله ، فيجب إثباته له من غير تحريف ، ولا تعطيل ،
ولا تكييف ، ولا تمثيل ، وهو علو حقيقى يليق بالله .

(١) أخرجه الحاكم ٢/٢٨٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٢) مسلم (٧٧٢) ، والترمذى (٢٦٢) ، والنسائى (١٩٠/٢) .

وقول النبي ﷺ: «ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك» .
 وقال البخارية: «أين الله؟» قالت: فى السماء. قال: «أعتقها؛ فإنها مؤمنة»^(١). رواه مالك بن أنس، ومسلم، وغيرهما من الأئمة.
 وقال السني ﷺ لحصين: «كم إلها تعبد؟» قال: سبعة؛ ستة فى الأرض

وينقسم إلى قسمين:

علو صفة: بمعنى أن صفاته تعالى عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، ودليله ما سبق.

وعلو ذات: بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته، ودليله مع ما سبق:
 قوله تعالى: «مَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ» [الثلث: ١٦].
 وقول النبي ﷺ: «ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك...». الحديث رواه أبو داود وفيه زيادة بن محمد، قال البخارى: منكر الحديث.
 وقوله ﷺ للبخارية: «أين الله؟» قالت: فى السماء. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».
 رواه مسلم فى قصة معاوية بن الحكم.

وقوله ﷺ لحصين بن عبيد الخزاعي والد عمران بن حصين: «اترك الستة، واعبد الذى فى السماء» هذا هو اللفظ الذى ذكره المؤلف، وذكره فى «الإصابة» من رواية ابن خزيمة فى قصة إسلامه بلفظ غير هذا، وفيه إقرار النبي ﷺ لحصين حين قال: «ستة فى الأرض وواحدا فى السماء».

وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه فى السماء، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل.

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته فى السماء، وفسروا معناها أن فى السماء

(١) أبو داود (٣٨٩٢)، وأحمد ٢١/٦، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع.

(٢) مسلم (٥٣٧)، وأبو داود (٣٢٨٢)، والسنائى (٤ - ١٤ - ١٨)، وأحمد ٥ ٤٤٧.

وواحدًا في السماء. قال: «مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟». قال: الذي في السماء. قال: «فانْزِلْ السَّيِّئَةَ وَاَعْبُدِ الذِّي فِي السَّمَاءِ، وَأَنَا أَعْلَمُكَ دَعْوَتَيْنِ». فَأَسْلَمَ وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ الْهَمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي». وفيما نُقِلَ من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المُتَقَدِّمَةِ أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ بِالْأَرْضِ وَيَرْعُمُونَ أَنْ إِلَهُهُمْ فِي السَّمَاءِ.

ورَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ

مَلَكُهُ، وَسُلْطَانُهُ، وَنَحْوُهُ، وَنَرَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا سَبَقَ فِي الْقَاعِدَةِ الرَّابِعَةِ، وَبَوَاجِهُ رَابِعٌ: أَنَّ مَلِكَ اللَّهِ وَسُلْطَانَهُ فِي السَّمَاءِ وَفِي الْأَرْضِ. أَيْضًا وَبَوَاجِهُ خَامِسٌ: وَهُوَ دَلَالَةُ الْعَقْلِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ صِفَةُ كَمَالٍ. وَبَوَاجِهُ سَادِسٌ: وَهُوَ دَلَالَةُ الْعِطْرَةِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ مَفْطُورُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ.

معنى كون الله في السماء:

المعنى الصحيح لكون الله في السماء أن الله تعالى على السماء، «في» بمعنى «على»، وليست للظرفية؛ لأن السماء لا تحيط بالله، أو أنه في العلو فالسماء بمعنى العلو، وليس المراد بها السماء المبنية.

تنبيه:

ذكر المؤلف رحمه الله أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبي ﷺ وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويرعمون أن إلههم في السماء، وهذا النقل غير صحيح؛ لأنه لا سند له، ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لا يختصان بهذه الأمة، وما لا يختص لا يصح أن يكون علامة، ولأن التعبير بالزعم في هذا الأمر ليس بمدح؛ لأن أكثر ما يأتي الزعم فيما يشك فيه.

مَسِيرَةٌ كَذَا وَكَذَا». وذكر الخبر إلى قوله: «فوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك».

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعترضوا لردّه ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله.

سُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج.



جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك :

وليس أبوه أنس بن مالك الصحابي بل غيره، وكان حد مالك من كبار التابعين، وأبو جده من الصحابة. ولد مالك سنة ٩٣هـ بالمدينة ومات فيها سنة ١٧٩هـ وهو في عصر تابعي التابعين.

سئِلَ مَالِكٌ فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. كيف استوى؟ فقال رحمه الله: (لاستواء غير مجهول) أي معلوم المعنى، وهو العلو والاستقرار. (وكيف غير معقول) أي كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل؛ لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته. (ولإيمان به) أي الاستواء (واجب) لوروده في الكتاب والسنة. (السؤال عنه) أي عن الكيف (بدعة) لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه.

ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفاً من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيراً له بمسعه من مجالس العلم.

فصل في كلام الله تعالى

١٢- ومن صعدت لله تعالى له فمكنته كلام قديم . يسمعه منه من شاء من خلقه ؛ سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة ، وسمعه جبريل عليه السلام ، ومن أذن له من ملائكته ورسله .

وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ، ويكلمونه ، ويأذن لهم فيروونه .

قال الله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء : ١٦٤] .

وقال سبحانه : ﴿يَمْسُكُ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

وقال سبحانه : ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [النقرة : ٢٥٣]

وقال سبحانه : ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى : ٥١] .

وقال سبحانه : ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه : ١١ ، ١٢] .

وقال سبحانه : ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه : ١٤] .

وغير جائز أن يقول هذا إلا الله .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء . وروى ذلك عن النبي ﷺ .

وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال : « يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

الصفة الخامسة عشرة : « الكلام » .

الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

فمنه تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ، ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ .

خُفَاءَ عُرَاءَ فِينَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعْدَ ، كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الدِّيَانُ ^(١) . رواه الأئمة ، واستشهد به البخاري .

وفي بعض الآثار : أَن موسى عليه السلام لَبِنَ رَأَى النَّارَ ، فَهَالَتْهُ وَفَرَعَ مِنْهَا ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ : يَا مُوسَى . فَأَجَابَ سَرِيعًا اسْتِئْذَانًا بِالصَّوْتِ . فَقَالَ : لَبِيكَ ، لَبِيكَ ،

وقال النبي ﷺ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِأَمْرِهِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ » . أَخْرَجَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

وَأَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى ثُبُوتِ الْكَلَامِ لِلَّهِ ، فَيَجِبُ إِثْبَاتُهُ لَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ ، وَلَا تَكْيِيفٍ ، وَلَا تَمَثِيلٍ .

وهو كلام حقيقي يليق بالله ، يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة .
واندليل على أنه مشيئته ، قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] . فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى .
وندليل على أنه حروف ، قوله تعالى : ﴿ يَمْوَسَّىٰ ۖ ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه: ١١] ، [١٢] . فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ حُرُوفٌ وَهِيَ كَلَامُ اللَّهِ .

والندليل على أنه بصوت ، قوله تعالى ﴿ وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ يَحْيَىٰ ۖ ﴾ [مريم: ٥٢] والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت .

وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال : « يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ فِينَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الدِّيَانُ » . علقه البخاري بصيغة التمريص .

قال في « الفتح » : وأخرجه المصنف في « الأدب المفرد » وأحمد ، وأبو يعلى في « مسندهما » . وذكر له طريقين آخرين .

(١) أخرجه أحمد ٤٩٥/٣ ، والبخاري في ختيق أفعال العباد ٤٠/١ ، وعلقه بصيغة التمريص في الصحيح

أسمع صوتك ، ولا أرى مكانك ، فأين أنت ؟ فقال : أنا فوقك ، وأمامك ، وعن يمينك ، وعن شماليك . فغلب أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى ، قال : فكذلك أنت يا إلهي ، أفكلامك أسمع ، أم كلام رسولك ؟ قال : بل كلامي يا موسى .

وكلام الله تعالى قديم النوع ، حادث الآحاد .

ومعنى قديم النوع : أن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ، ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن .

ومعنى حادث الآحاد : أن آحاد كلامه - أي الكلام المعين المخصوص - حادث ؛ لأنه متعلق بمشيئته ، متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء .

المخالصون لأهل السنة في كلام الله تعالى

حالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منها طائفتين :

الطائفة الأولى : الجهمية :

قالوا : ليس الكلام من صفات الله ، وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء ، أو في المحل الذي يسمع منه ، وإضافته إلى الله إضافة خلق أو تشريف مثل ناقة الله ، وبيت الله .

ونرد عليهم بما يلي :

١- أنه خلاف إجماع السلف .

٢- أنه خلاف المعقول ؛ لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئاً قائماً بنفسه منفصلاً عن المتكلم .

٣- أن موسى سمع الله يقول : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه: ١٤] . ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

الطائفة الثانية : الأشعرية :

قالوا : كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته ، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله .

ونرد عليهم بما يلي :

١- أنه خلاف إجماع السلف .

٢- أنه خلاف الأدلة ؛ لأنها تدل على أن كلام الله يسمع ، ولا يسمع إلا الصوت ، ولا يسمع المعنى القائم بالنفس .

٣- أنه خلاف المعهود ؛ لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمرة في نفسه .

تعلق على كلام المؤلف في فصل الكلام

قوله « متكلم بكلام قديم » يعني قديم النوع حادث الآحاد ، لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة ، وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد .

قوله . « سمعه موسى من غير واسطة » لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ [طه : ١٣] .

قوله . « وسمعه جبريل » لقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢] .

قوله « ومن أذن له من ملائكته ورسله » أما الملائكة فلقوله ﷺ : « ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فيخبرونهم » .

الحديث رواه مسلم ^١ . وأما الرسل فقد ثبت أن الله كلم محمدا ﷺ ليلة المعراج .

قوله : « وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه » لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « يقول الله لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : ليك ربنا وسعديك » .

الحديث متفق عليه ^(٢) .

(١) مسلم (٢٢٢٩) ، والترمذي (٣٢٢٤) ، وأحمد ١/ ٢١٨ .

(٢) البخاري (٦٥٣٠) ، ومسلم (٢٢٢) .



قوله : « ويأذن لهم فيزورونه » لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ... »^(١) الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال : عريب . وضعفه الألباني .

وقوله : « وقال ابن مسعود : « إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء » وروى ذلك عن النبي ﷺ » أثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ ، وذكر ابن خزيمة طرقه في كتاب « التوحيد » بألفاظ منها : « سمع أهل السموات للسموات صلصلة » ، وأما المروى عن النبي ﷺ ، فهو من حديث النواس بن سمعان مرفوعا : « إذا أراد الله أن يوحى بأمره تكلم بالوحي ، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة ، أو قال : رعدة شديدة . من خوف الله ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا ... »^(٢) . الحديث رواه ابن خزيمة وابن أبي حاتم .

(١) الترمذي (٢٥٤٩) ، وابن ماجه (٤٣٣٦) ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٧٢٢) .

(٢) فتح الباري ٤٥٧/١٣ ، وعمدة انقاري ١٥٢/٢٥ ، وعون المعبود ٤٨/١٣ .

فصل في القرآن الكريم

١٣- ومن كلام الله تعالى **تقرآن العظمى**، وهو كتاب الله المبين، وحجته المتين، وصراطه المستقيم، وتزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، منه بدأ، وإليه يعود. وهو سورٌ مُحْكَمَاتٌ، وآياتٌ بَيِّنَاتٌ، وحروفٌ وكلماتٌ، من قرأه فأعزبه فله بكل حرف عشر حسَنَاتٍ. له أولٌ وآخرٌ، وأجزاء وأبعاد، مثَلُوهُ بِالْأَلْسِنَةِ، محفوظٌ

القول في القرآن :

القرآن الكريم من كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه. دليل أنه من كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. يعني القرآن. ودليل أنه منزل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]. ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فجعل الأمر غير الخلق، والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿كَذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ [الطلاق: ٥]. ولأن كلام الله صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

ودليل أنه منه بدأ، أن الله أضافه إليه، ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئاً. ودليل أنه إليه يعود، أنه ورد في بعض الآثار أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان.

القرآن حروف وكلمات :

القرآن حروف وكلمات، وقد ذكر المؤلف رحمه الله لذلك أدلة ثمانية :

١- أن الكفار قالوا : إنه شعر، ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه مُحْكَمٌ ومُتَشَابِهٌ، وناسخٌ ومنسوخٌ، وخاصٌ وعامٌ، وأمرٌ ونهيٌ.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

[فصلت: ٤٢].

﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ

وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهو هذا الكتاب العريث الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهِذَا

الْقُرْآنِ﴾ [سبا: ٣١].

وقال بعضهم: ﴿إِن هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

فصل ستة مائة سجدة وتعالى: ﴿سَاطِئِهِ سَقَرٌ﴾ [المدثر: ٢٦].

وفصل مائة: هو شعرٌ، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

فلما نفى الله عنه أنه شعرٌ، وأثبت قرآناً، لم يبق شبهةً لدى لب في أن القرآن هو

هذا الكتاب العريث الذي هو كلماتٌ، وحروفٌ، وآياتٌ؛ لأن ما ليس كذلك لا

يقول أحدٌ: إنه شعرٌ.

وفصل مائة وتعالى: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا رَزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن

مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

ولا يجوز أن يتحدثوا بالإتيان بمثل ما لا يُدرى ما هو ولا يُعقل.

وقال لله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

٢- أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله، ولو لم يكن حروفاً وكلمات لكان

التحدى غير مقبول، إذ لا يمكن التحدى إلا بشيء معلوم يدري ما هو.

٣- أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ

لِقَاءَنَا أَنتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي
نَفْسِي ﴿١٥﴾ [نوس: ١٥] .

فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تُتلى عليهم .

وقال تعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْسُتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ
بِأَيِّنِّنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [التكوير: ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨] .
بعد أن أقسم على ذلك .

وقال تعالى : ﴿كَهَيِّضَ﴾ [مریم: ١] ، ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقٌ﴾ [الشورى: ١، ٢] ،
وافتتح تسعاً وعشرين سورةً بالحروف المقطعة .

قل اسئِ ﷺ : «من قرأ القرآن فأعزته فله بكل حرفٍ منه عشرُ حسناتٍ ، ومن
قرأه ولحن فيه فله بكل حرفٍ حسنةٌ» (١) حديثٌ صحيح .

وقال عليه السلام : «افروءوا القرآن قبل أن يأتي قومٌ يُقيمون حروفه إقامة السهم

الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أُبَدِّلَهُ﴾ . ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات .

٤ - أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم ومكتوب في اللوح المحفوظ
﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْسُتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [التكوير: ٤٩] . ﴿إِنَّكُمْ لَقُرْآنٌ
كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩] . ولا
يحفظ ويكتب إلا ما هو حروف وكلمات .

٥ - قول النبي ﷺ : «من قرأ القرآن فأعزبه فله بكل حرفٍ منه عشرُ حسناتٍ ،
ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرفٍ حسنةٌ» . صححه المؤلف ولم يعزه ولم أجد من
خرجه .

(١) ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٣٤٤ - ١٣٤٦) .

لا يُجاوِزُ تَراقيهِمْ يَتَعَلَّوْنَ آخِرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » .

وقال أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - : إعراب القرآن أحبُّ إلينا من حفظ بعض حروفه .

وقال علي - رضى الله عنه - : مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلُّهُ .
واتَّفَقَ المسلمون على عدِّ سورِ القرآنِ ، وآياته ، وكلماته ، وحروفه .
ولا خلافَ بينَ المسلمين في أنَّ من جحد من القرآنِ سورةً ، أو آيةً ، أو كلمةً ،
أو حرفاً - مُتَّفَقاً عليه - أنه كافرٌ ، وفي هذا حجةٌ قاطعةٌ على أنه حروفٌ .



- ٦- قول أبي بكر وعمر : إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه .
٧- قول علي رضى الله عنه : من كفر بحرف منه فقد كفر به كله .
٨- إجماع المسلمين - كما نقله المؤلف - على أن من جحد منه سورة ، أو آية ،
أو كلمة ، أو حرفاً متفقاً عليه ، فهو كافر .
وعدد سور القرآن (١١٤) منها (٢٩) افتتحت بالحروف المقطعة .

أوصاف القرآن :

- وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة ذكر المؤلف منها ما يلي :
- ١- أنه كتاب الله المبين ، أى : المصصح عما تضمنه من أحكام وأخبار .
٢- أنه جبل الله المتين ، أى : العهد القوى الذى جعله الله سبباً للوصول إليه والفور بكرامته .
٣- أنه سور محكمات ، أى : مفصل السور ، كل سورة منفردة عن الأخرى ،
والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض .



٤- أنه آيات بينات، أى علامات ظاهرات على توحيد الله، وكمال صفاته، وحسن تشريعاته.

٥- أن فيه محكما ومتشابهها، فالمحكم: ما كان معناه واضحا، والمتشابه: ما كان معناه خفيا. ولا يعارض هذا ما سبق برقم « ٣ » لأن الأحكام هناك بمعنى الإتيان والحفظ من الخلل والتناقض، وهنا بمعنى وضوح المعنى، وإذا رددنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع محكما.

٦- أنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أى جهة ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

٧- أنه برىء مما وصفه به المكذبون به من قولهم: إنه شعر؛ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِسُ لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، وقول بعضهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ ﴿٧٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤، ٢٥]. فقال الله متوعدا هذا القائل: ﴿سَاصِلِهِمْ مَقَرٌّ﴾ [المدثر: ٢٦].

٨- أنه معجزة لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله وإن عاونه غيره ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

فصل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

١٤. وَحُزْمُونَ يَرَوْنَ اللَّهَ عَمَى فِي لَأَحَرِهِمْ نَأْصِرُهُمْ وَيُزِيلُهُمْ وَيَكَلِّمُهُمْ وَيَكَلِّمُونَهُ .

قال الله تعالى: ﴿وَحُزْمٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].
وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفيين: ١٥].
فلما حجب أولئك في حال الشُّحْطِ دَلٌّ على أن المؤمنين يرونه في حال الرِّضَا، وإلا لم يكن بينهما فرق.
وقال النبي ﷺ: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُصَامُون في رؤيته» متفق عليه^(١).

رؤية الله في الآخرة:

رؤية الله في الدنيا مستحيلة؛ لقوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ورؤية الله في الآخرة ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَحُزْمٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ . وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ . فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه، وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته» . متفق عليه.

الحارثي (٤٨٥١)، ومسلم (٦٣٣)، وأبو داود (٤٧٢٩)، والترمذي (٢٥٥١).

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي ، فإن الله تعالى لا شبهة له ولا نظير .



وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي ؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ، ولا شبهة له ولا نظير .

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل الآية الثانية .
 يرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى .
 وهي رؤية حقيقية تليق بالله ، وفسرها أهل التعطيل بأن المراد بها رؤية ثواب الله ، أو
 أن المراد بها رؤية العلم واليقين . ونرد عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق في القاعدة
 الرابعة ، وباعتبار التأويل الثاني بذلك ، وبوجه رابع : أن العلم واليقين حاصل للأبرار في
 الدنيا وسيحصل للفجار في الآخرة .

فصل في القضاء والقدر

١٥- ومن صفات الله تعالى أنه يفعل بما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تديره ، ولا مجيد لأحد عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خُط في اللوح المسطور ، أراد ما العالم فاعلوه ، ولو عصمهم لما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه ، خلق الخلائق وأفعالهم ، وقدر أرزاقهم وأحالهم ، يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته .

قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدَرٍ ﴾ [الفرقان: ٢] .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

القدر:

من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد كما قال تعالى : ﴿ إِنْ رَزَقَكَ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧] .

فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه ، ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتديره ، بيده ملكوت كل السموات والأرض ، يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل ؛ لكمال حكمته وسلطانه ، وهم يسألون ، لأنهم مربوبون محكومون .

وروى ابنُ عمرَ أنَّ جبريلَ عليه السلامُ قال للنبيِّ ﷺ : « ما الإيمانُ ؟ قال : « أنْ تُؤمِنَ باللهِ ، وملائكتهِ ، وكتبهِ ، ورسولِهِ ، واليومِ الآخرِ ، وبالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ » . فقال جبريلُ : صدقتُ . انفردَ مسلمٌ بإخراجه .

وقال النبيُّ ﷺ : « آمَنْتُ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ ، وحُلُوهِ ومُرِّهِ » .

ومن دعاءِ النبيِّ ﷺ الذي عَلَّمَهُ الحسنُ بنُ عليٍّ يَدْعُو به في قنوتِ الوترِ :

« وقنِي شرَّ ما قَضَيْتَ » (١) .

والإيمانُ بالقدرِ واجبٌ ، وهو أحدُ أركانِ الإيمانِ الستة ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ :

« الإيمانُ أنْ تؤمِنَ باللهِ ، وملائكتهِ ، وكتبهِ ، ورسولِهِ ، واليومِ الآخرِ ، والقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ » رواه مسلمٌ وغيره .

وقال النبيُّ ﷺ : « آمَنْتُ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ ، حموه ، ومره » . فالخيرُ والشرُّ باعتبارِ العاقبةِ والحلاوةِ والمرارةِ باعتباره وقتَ إصابته . وخيرُ القدرِ ما كان نافعاً ، وشرُّه ما كان ضاراً أو مؤذياً .

والخيرُ والشرُّ هو بالنسبةِ للمقدورِ وعاقبته ، فإنَّ منه ما يكون خيراً كالطاعاتِ ، والصحةِ ، والغنى ، ومنه ما يكون شراً ، كالمعاصي ، والمرضِ ، والفقرِ .

أما بالنسبةِ لفعلِ الله فلا يقال : إنه شرٌّ ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ في دعاءِ القنوتِ الذي علمه الحسنُ بنُ عليٍّ : « وقنِي شرَّ ما قَضَيْتَ » . فأضافَ الشرَّ إلى ما قضاه لا إلى قضائه .

(١) مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذی (٢٦١٠) .

(٢) تاريخ دمشق ٥/٢٥٠ ، وفتح المغيث ٣/٥٨ .

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٢٥) ، والترمذی (٤٦٤) ، والسنائي ٣/٢٤٨ ، وس ماحه (١١٧٨) ، وأحمد

٢٠٠/١ ، وصححه الألبانی فی الإرواء (٤٢٩) .

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:

الأول الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكب: ٧٠] .

الثاني أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكب: ٢٢] . أي نخلق الخليقة .

ولقوله ﷺ: «إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»^(١) رواه مسلم .

الثالث أنه لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل؛ لكمال حكمته وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبه في اللوح المحفوظ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [الفنر: ٤٩] . ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] . فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته .

الرابع أن كل شيء في السموات والأرض مخلوق لله تعالى، لا خالق غيره ولا رب سواه؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] . وقال على لسان إبراهيم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] .

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه ، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله الحجة علينا بإنزال الكتب وبَعَثِ الرسل .
قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] .
 ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المُسْتَطِيعَ للفعل والترك ، وأنه لم يجزِ أحدًا على معصية ، ولا اضطرَّه إلى ترك طاعة .

القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية :

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصٍ كلها مخلوقة لله كما سبق ، ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية .
وذلك لأدلة كثيرة منها :

١- أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسبا له فقال : ﴿الْيَوْمَ تُجْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧] . ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرة عليه ما نسب إليه .
 ٢- أن الله أمر العبد ونهاه ، ولم يكلفه إلا ما يستطيع ؛ لقوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] . ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التقوى: ١٦] . ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعاً على الفعل أو الكف ؛ لأن المجبور لا يستطيع التخلص .

٣- أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري ، وأن الأول يستطيع التخلص منه .

٤- أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قدر له ، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك ، فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول ؟ ! أليس من الأخرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول : هذا ما قدر لي ؟ !

٥- أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة : ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ . ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل .

قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [التقرة: ٢٨٦].
 وقال سبحانه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغاب: ١٦].
 وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [عافر: ١٧].
 فدل على أن للعبد فعلاً وكسباً يُجزى على حسبه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.



التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله وكونه كسباً للعامل:
 عرفت مما سبق أن فعل العبد مخلوق لله، وأنه كسب للعبد يجازى عليه الحسن بأحسن، والسيئ بمثله، فكيف نوفق بينهما؟

التوفيق بينهما أن وجه كون فعل العبد مخلوقاً لله تعالى أمران:
 الأول: أن فعل العبد من صفاته، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى.
 الثاني: أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بديية، ولولاهما لم يكن فعل، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى، وخالق السبب خالق للمسبب، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب، لا نسبة مباشرة؛ لأن المباشرة حقيقة هو العبد، فلذلك سبب الفعل إليه كسباً وتحصيلاً، ونسب إلى الله خلقاً وتقديراً، فكل من النسبتين اعتبار، والله أعلم.

المخالفون للحق في القضاء والقدر والرد عليهم:

المخالفون للحق في القضاء والقدر طائفتان:

الطائفة الأولى: الجبرية:

يقولون: العبد مجبور على فعله وليس له اختيار في ذلك.

وترد عليهم بأمرين:

١- أن الله أصاف عمل الإنسان إليه وجعه كسباً له يعاقب ويثاب بحسبه، ولو كان مجبوراً عليه ما صح نسبته إليه، ولكان عقابه عليه ظلماً.



٢- أن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختياري والاضطراري في الحقيقة والحكم ، فلو اعتدى شخص على آخر وادعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لعد ذلك سفها مخالفا للمعلوم بالضرورة .

الطائفة الثانية : القدرية .

يقولون : العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة ، ولا قدرة ، ولا خلق .

ونرد عليهم بأمرين :

١- أنه مخالف لقوله تعالى : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزهد: ١٦] . ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦] .

٢- أن الله مالك السموات والأرض ، فكيف يكون في مده ما لا تتعلق به إرادته وخلقها ؟

أقسام الإرادة والفرق بينهما :

إرادة الله تنقسم إلى قسمين كونية وشرعية :

ماكونية هي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأأنام: ١٢٥] .

واشرعية هي التي بمعنى المحبة ، كقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] .

ويعرف بينهما أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوبا لله ، وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوبا لله ولا يلزم وقوعه .



فصل في الإيمان

١٦- والإيمان قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، وعقدٌ بالقلب، يريدُ بالصيغة، وينقصُ بالعصيان.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. فجعل عبادة الله تعالى، وإخلاص القلب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، كله من الدين. وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضعة وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»^١. فجعل القول والعمل من الإيمان.

الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق. واصطلاحاً: قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجان. مثال القول: لا إله إلا الله.

ومثال العمل: الركوع.

ومثال العقد: الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده.

والدليل على أن هذا هو الإيمان قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾. فجعل الإخلاص، والصلاة، والزكاة من الدين.

وقال النبي ﷺ: «الإيمان بضعة وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق». رواه مسلم بلفظ: «فأفضلها قول: لا إله إلا الله» وأصله في «الصحيحين».

(١) البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦).

وقال الله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة ١٢٤] ، ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا﴾ [الفتح: ٤] .

وقال رسولُ الله ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ ، أَوْ خَرْدَلَةٍ ، أَوْ دَرَّةٍ ، مِنَ الْإِيمَانِ»^(١) . فجعله مُتَفَاضِلًا .



والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ؛ لقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ .
﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ .

وقال النبي ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ ، أَوْ خَرْدَلَةٍ ، أَوْ ذَرَّةٍ ، مِنَ الْإِيمَانِ» رواه البخاري بنحوه . فجعله النبي ﷺ متفاضلاً ، وإذا ثبت زيادته ثبت نقصه ؛ لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصاً عن الزائد .



(١) البخاري (٤٤) ، ومسلم (١٩٣) .

فصل في السمعيات

١٧- ويحث الإيمان بكر ما حذر به سيئ ﷺ وصح به أسفل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنه . نعلم أنه حق وصدق ، سواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه .
مثل حديث الإسراء والمعراج ، وكان يقظة لا مناماً ، فإن قريشاً أنكرته وأكبرته ولم تكن تثير المنامات .

فصل في السمعيات

السمعيات كل ما ثبت بالسمع ، أي بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل ، وكل ما ثبت عن النبي ﷺ من أخبار فهي حق يجب تصديقه ، سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنا ، وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجُمُحِ ﴾ (الغرة : ١١٩) .

وقد ذكر المؤلف من ذلك أموراً :

الأمر الأول : الإسراء والمعراج .

الإسراء لغة : السير بالشخص ليلاً . وقيل : بمعنى سري .

وشرعاً : سير جبريل بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ؛ لقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرٌ إِذَا هَوَىٰ مَا شَاءَ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم : ١ ، ٢] . إلى قوله : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٨] .

وشرعاً : السلم الذي عرج به رسول الله ﷺ من الأرض إلى السماء ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم : ١ ، ٢] . إلى قوله : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٨] .

ومن ذلك : أن مَلَكَ الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففَقَأ عينه ، فرجع إلى ربّه فرَدَّ عليه عينه .

وكانا في ليلة واحدة عند الجمهور .

وللعلماء خلاف متى كانت ؟ **فيروى بسند منقطع عن ابن عباس ، وجابر ، رضى الله عنهم ؛** أنها ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ، ولم يعينا السنة . رواه ابن أبي شيبه .

ويروى عن الزهري وعروة أنها قبل الهجرة بسنة . رواه البيهقي ، فتكون في ربيع الأول ، ولم يعينا الليلة ، وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووي . ويروى عن السدي أنها قبل الهجرة بستة عشر شهرا . رواه الحاكم . فتكون في ذى القعدة .

وقيل : قبل الهجرة بثلاث سنين .

وقيل : بخمس . **وقيل :** بست .

وكان يقظة لا مناما ، لأن قريشاً أكبرته وأنكرته ، ولو كان مناماً لم تنكره ؛ لأنها لا تنكر المنامات .

وقصته : أن جبريل أمره الله أن يسرى بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس على البراق ، ثم يعرج به إلى السموات العلى سماء ، سماء ، حتى بلغ مكاناً سمع فيه صريف الأقلام ، وفرض الله عليه الصلوات الخمس ، وأُطلع على الجنة والنار ، واتصل بالأنبياء الكرام ، وصلى بهم إماماً ، ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون ، وصدق به المؤمنون ، وتردد فيه آخرون .

الأمر الثاني : مجيء ملك الموت إلى موسى .

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ليقبض

١٨- ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج دجال .

روحه ، فلطمه موسى فقفاً عيه ، فرجع الملك إلى الله وقال : « أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت » فرد الله عليه عينه وقال : « ارجع إليه ، وقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة » فقال موسى : ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت قال : فالآن . فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية حجر ، قال النبي ﷺ : « فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر » .

وهذا الحديث ثابت في « الصحيحين » وإنما أثنته المؤلف في العقيدة ؛ لأن بعض المبتدعة أنكروه معللاً ذلك بأنه يمتنع أن يطم موسى الملك . ونرد عليهم : بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو ؟ يطلب منه نفسه ، فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه ، ولو علم موسى أنه ملك لم يطمه ، ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله ، وهو إعطاؤه مهنة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثور .

الأمر الثالث : أشراط الساعة :

الأشراط جمع شرط وهو لغة العلامة .

والساعة لغة الوقت أو الحاضر منه .. والمراد بها ها : القيامة .

فأشراط الساعة شرعاً العلامات الدالة على قرب يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمّد. ١٨] .

ودكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتي

١- (مخرج الدجال) :

وهو لغة صيغة مبالغه من الدجل ، وهو الكذب والتمويه .

وشرعاً : رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعى الربوية .

وخروجه ثابت بالسنة ، والإجماع . قال النبي ﷺ : « قولوا : اللهم إني أعوذ بك

ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقُتله .

من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » رواه مسلم ^(١) .

وكان النبي ﷺ يتعود منه في الصلاة . متفق عليه .

وأجمع المسلمون على خروجه .

وقصته أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق ، فيدعو الناس إلى عبادته ، فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب . ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان ، فيسير في الأرض كلها كالغيث استديرته الرياح ، إلا مكة والمدينة فيمنع منهما ، ومدته أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وباقي أيامه كالعادة ، وهو أعور العين مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط ، وله فتنة عظيمة ، منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث ، معه جنة ونار ، فجنته نار ، وناره جنة .

حذر منه النبي ﷺ ، وقال : « من سمع به فلينبأ عنه ، ومن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، أو بفواتح سورة الكهف » ^(٢) .

٢- (نزول عيسى ابن مريم) :

نزول عيسى ابن مريم ثابت بالكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء، ١٥٩] .

أى : موت عيسى ، هذا حين نزوله كما فسره أبو هريرة بذلك . وقال النبي ﷺ : « والله لينزلن عيسى ابن مريم حكماً عدلاً » . الحديث متفق عليه .

(١) البخارى (١٣٧٧) ، ومسلم (٥٨٨) ، والترمذى ٢٧٨ / ٨ ، وأحمد ٥٢٢ / ٢ .

(٢) البخارى (٧٩٨) ، ومسلم (٥٨٨) .

(٣) مسلم ٦٥ / ١٨ ، وأبو داود (٤٣٢١) ، والترمذى (٢٢٤٠) ، وابن ماجه (٤٠٧٥) ، وأحمد ١٨١ / ٤ .

(٤) البخارى (٢٢٢٢) ، ومسلم (١٥٥) ، وأحمد ٢٤٠ / ٢ .

وخروج يأجوج ومأجوج .

وقد أجمع المسلمون على نزوله .

فيزل عند المعارة البيضاء في شرقي دمشق ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلب الدجال حتى يدركه باب لد فيقتله ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويحج ويعتمر ، كل هذا ثابت في « صحيح مسلم » وبعضه في « الصحيحين » كليهما .

وروى الإمام أحمد وأبو داود : أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون . وذكر البخاري في « تاريخه » أنه يدفن مع النبي ﷺ ، والله أعلم .

٣- (يأجوج ومأجوج) :

اسمان أعجميان ، أو عريان مشتقان من المأج وهو الاضطراب ، أو من أجيح النار وتلهبها .

وهما أمتان من بنى آدم موحدتان بديل الكتاب ، والسنة .

قال الله تعالى في قصة ذى القرنين : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفِيدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ ﴾ [الكهف : ٩٣ ، ٩٤] .

وقال النبي ﷺ : « يقول الله يوم القيامة : يا آدم ، قم فاعث بعث النار من ذريتك » ، إلى أن قال رسول الله ﷺ : « أبشروا ، فإن منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألقا » أخرجاه في « الصحيحين » (١) .

(١) أبو داود (٤٣٢٤) ، وأحمد ٢ / ٤٠٦ ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٨٢) .

(٢) يُنظر تفسير ابن كثير ٥٨٥/١ .

(٣) البخاري (٤٧٤١) ، ومسلم (٢٢٢) ، وأحمد ٣ / ٣٣ .

وخروجهم الذي يكون من أشرط الساعة لم يأت بعد ، ولكن بوادره وجدت في عهد النبي ﷺ فقد ثبت في « الصحيحين » أن النبي ﷺ قال : « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » . وحلق ياصبعه الإبهام والتي تليها ^(١) .

وقد ثبت خروجهم في الكتاب والسنة .

قال الله تعالى : ﴿ حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ [١١] وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴿ [الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧] .

وقال النبي ﷺ : « إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات » . فذكر : « الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف ؛ خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » . رواه مسلم ^(٢) .

وقصتهم في حديث النواس بن سميان أن النبي ﷺ قال في عيسى ابن مريم بعد قتله الدجال :

« فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي لا يذان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادي إلى الطور . ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم ويقول : لقد كان بهذه مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر ، وهو جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض ، هلم فلنقتل من في السماء ، فيرمون بنشابهم إلى

(١) البخاري (٥٢٩٣) ، ومسلم (٢٨٨٠) ، والترمذي (٢١٨٧) .

(٢) مسلم (٢٩٠١) ، وأبو داود (٤٣١١) ، والترمذي (٢١٨٣) ، واس ماحه (٤٠٤١) ، وأحمد

وخروج الدابة .

السماء ، فيرد الله عليهم نوابهم مخضونة دما ، ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيلاً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم ، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملاء زهمهم وتنتهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل عليهم طيراً كأعناق البحت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله . رواه مسلم^(١).

٤- (خروج الدابة) .

الدابة لغة : كل ما دب على الأرض .

ومردها الدابة التي يخرجها الله قرب قيام الساعة . وخروجها ثابت بالقرآن والسنة .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الزمل: ٨٢] .

وقال النبي ﷺ : « إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات » وذكر منها الدابة . رواه مسلم .

وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها ، وإنما وردت في ذلك أحاديث في صحتها نظر .

وظاهر القرآن أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك . والله أعلم .

وطلوع الشمس من مغربها ، وأشباه ذلك مما صحَّ به النقل .
وعذاب القبر ونعيمه حق .

٥- (طلوع الشمس من مغربها) :

طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة .

قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَلِفَتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] .

والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها .

وقال النبي ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » متفق عليه^(١) .

عذاب القبر أو نعيمه :

عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن ، وصريح السنة ، وإجماع أهل السنة .
قال الله تعالى في سورة « الواقعة » : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ وَأَسْتَرْجِيذُ ﴿٨٣﴾ نُنْظَرُونَ﴾ [الواقعة : ٨٣ ، ٨٤] ، إلى قوله : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة : ٨٨ ، ٩٩] . إلخ السورة .

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من عذاب القبر ، وأمر أمته بذلك .

وقال النبي ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر ، قال في المؤمن : « فينادى مناد من السماء . أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، فيأتيه من ريحها ، وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره » . وقال في الكافر : « فينادى مناد من السماء . أن كذب عبدى فأفرشوه من النار ،

(١) البخارى (٤٦٣٥) ، ومسلم (١٥٧) ، وأبو داود (٤٣١٢) .

وقد استعاذ النبي ﷺ منه ، وأمر به في كل صلاة .
وفتنة القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق .

وافتحوا له بابًا من النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه . الحديث رواه أحمد وأبو داود^(١) .

وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه ، ذكره ابن القيم في كتاب « الروح » .

وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو .

نرد عليهم بأمرين :

١- دلالة الكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف على ذلك .

٢- أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا ، فليس العذاب أو النعيم في القبر كالمحسوس في الدنيا .

هل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أو على البدن ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم أو العذاب .

فتة القبر :

الفتنة لمعة الاختبار . وفتنة القبر : سؤال الميت عن ربه ، ودينه ، ونيه ، وهي ثابتة بالكتاب والسنة .

قال الله تعالى : ﴿ يُنَبِّئُ اللَّهُ الدَّيْقَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

(١) أخرجه أبو داود (٣٢١٢) ، والسنائي ٧٨/٤ ، وابن ماجه (١٥٤٨ ، ١٥٤٩) ، وأحمد

والبعث بعد الموت حق ، وذلك حين ينفخ إسرائيل عليه السلام في الصور
﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس ٥١] .

الْآخِرَةُ [إبراهيم: ٢٧] .

وقال النبي ﷺ : « المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ، متفق عليه^(١) .

والسائل ملكان ؛ لقول النبي ﷺ : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ، قال : يأتيه ملكان فيقعدانه »^(٢) . رواه مسلم . واسمهما منكر ونكير كما رواه الترمذي^(٣) عن أبي هريرة مرفوعاً ، وقال : حسن غريب . قال الألباني : وسنده حسن وهو على شرط مسلم ، والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين ، ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح ، وفي غير المكلفين خلاف ، وظاهر كلام ابن القيم في كتاب « الروح » ترجيح السؤال . ويستثنى من ذلك الشهيد ؛ لحديث رواه النسائي^(٤) ، ومن مات مرابطاً في سبيل الله لحديث رواه مسلم^(٥) .

النفخ في الصور :

النفخ معروف .

والصور لغة : القرن .

(١) البخاري (ح ٤٤٢٢) ، وسنن أبي داود (ح ٤٧٥٠) .

(٢) البخاري (١٣٣٨) ، ومسلم (٢٨٧٠) ، وأبو داود (٣٢٣١) .

(٣) الترمذي (١٠٧١) .

(٤) النسائي (٩٩) بلفظ : أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يقشرون في قبورهم إلا الشهيد . إلخ .

(٥) مسلم (١٩١٣) .

١٩- ويحشر الناس يوم القيامة حفاة غرأة غرلاً لهم فيقفون في موقف القيامة ، حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ .

وشرعاً : قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه ، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش .

وهما نفختان :

إحداهما نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله .

الثانية : نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم .

وقد دل على النفخ في الصور الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة .

قال الله تعالى : ﴿ وَيُفِخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨] .

﴿ وَيُفِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [يس : ٥١] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى لبتاً ورفع لبتاً ، ثم لا يبقى أحد إلا صعق ، ثم ينزل الله مطراً كأنه الظل أو الظل (شك الراوي) فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » . رواه مسلم ^١ في حديث طويل . وقد اتفقت الأمة على ثبوته .

البعث والحشر :

البعث لغة : الإرسال والنشر .

وشرعاً : إحياء الأموات يوم القيامة .

والحشر لغة : الجمع .

وشرع جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم .

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين ، قال الله تعالى :

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التقآن: ٧] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾

[الواقعة : ٤٩ ، ٥٠] .

وقال النبي ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي

ليس فيها علم لأحد » متفق عليه^(١) .

وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة .

ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم ، عراة لا كسوة عليهم ، غرلاً لا ختان فيهم ؛

لقوله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] .

وقول النبي ﷺ : « إنكم تحشرون حفاة ، عراة ، غرلاً » ثم قرأ : ﴿كَمَا بَدَأْنَا

أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ وأول من يكسى إبراهيم . متفق

عليه^(٢) .

وفى حديث عبد الله بن أبيس المرفوع الذي رواه أحمد : « يحشر الناس

يوم القيامة عراة غرلاً ، بهماً . قلنا : وما بهما ؟ قال : « ليس معهم شيء »

الحديث .

(١) البخارى (٦٥٢١) ، ومسلم (٢٧٩٠) .

(٢) البخارى (٦٥٢٤) ، ومسلم (٢٨٦٠) .

(٣) أحمد ٤٩٥/٣ ، والبخارى (٩٧٠) .

وَيَشْفَعُ نَبِيُّنَا ﷺ فَيَمْنُ دَخَلَ النَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ فَيُخْرِجُونَ بِشَفَاعَتِهِ
بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا وَحَمَمًا ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ .

الشفاعة :

الشفاعة لغة : جعل الوتر شفعا .

واصطلاحاً : التوسط للغير بجلب منفعة ، أو دفع مضرة .

والشفاعة يوم القيامة نوعان خاصة بالنبي ﷺ ، وعممة له ولغيره .

فأما خاصة به ﷺ شفاعته العظمى في أهل الموقف عند الله ليقضى بينهم حين
يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون ، فيذهبون إلى آدم ، فنوح ، وإبراهيم ، فموسى ،
فعيسى ، وكلهم يعتذرون إلا النبي ﷺ ، فيشفع فيهم إلى الله ، فيأتي سبحانه وتعالى
للقضاء بين عباده .

وقد ذكرت هذه الصفة في حديث الصور المشهور لكن سنده ضعيف متكلم فيه ،
وحذفت من الأحاديث الصحيحة فاقصر منها على ذكر الشفاعة في أهل الكبائر .

فإن من كثير وشرح «الصحدوية» وكان مقصود السلف من الاقتصار على
الشفاعة في أهل الكبائر هو الرد على الحوارج ومن تابعهم من المعتزلة .

وهذه الشفاعة لا ينكرها المعتزلة والخوارج ، ويشترط فيها إذن الله ؛ لقوله تعالى :
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [التقرة: ٢٥٥] .

النوع الثاني العامة : وهي الشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أهل الكبائر أن
يخرجوا منها بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً ؛ لحديث أبي سعيد قال : قال رسول
الله ﷺ : «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أناس أو
كما قال تصيبهم النار بدنوبهم - أو قال : بخطاياهم - فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا
فحماً أذن في الشفاعة» الحديث رواه أحمد^(١) .

ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .
ولا تنفع الكافر شفاعَةُ الشافعين .

قال ابن كثير في « جوهرة » (٢ : ٢٠٤) وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه .

وهذه الشفاعة تكون للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء ، والملائكة ، والمؤمنين ؛ لحديث أبي سعيد عن النبي ﷺ ، وفيه : « يقول الله تعالى : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً » متفق عليه (١) :

وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة والخوارج ساء على مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة .

ونرد عليهم بما يأتي :

١- أن ذلك مخالف للمتواتر من الأحاديث عن النبي ﷺ .

٢- أنه مخالف لإجماع السلف .

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان :

الأول إذن الله في الشفاعة ؛ لقوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

الثاني رضا الله عن الشافع والمشفوع له ؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ . فأما الكافر فلا شفاعة له ؛ لقوله تعالى : ﴿فَمَا نَعْمُهُمْ شَفَعَةُ الشَّاعِينَ﴾ [المذثر : ٤٨] . أي لو فرض أن أحداً شفع لهم لم تنفعهم الشفاعة .

فِيحَاسِبُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتُنَشَرُ الدُّوَاوِينُ، وَتَنْطَايِرُ
صُحُفُ الْأَعْمَالِ إِلَى الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ
يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) وَيَقْلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ وَرَاءَ

وأما شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب حتى كان في ضحضاح من نار وعليه نعلان
يغلى منهما دماغه، وأنه لأهون أهل النار عداثا، قال النبي ﷺ: «ولولا أنا لكان في
الدرك الأسفل من النار» رواه مسلم. فهذا خاص بالنبي ﷺ وبعمه أبي طالب فقط،
وذلك والله أعلم لما قام به من بصرة النبي ﷺ والدفاع عنه، وعما جاء به.

الحساب:

الحساب لغة: العدد.

وشرعا: إطلاع الله عباده على أعمالهم.

وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَنَا إِيَّاهُمْ﴾ (١٠) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿[العاشية: ٢٥، ٢٦].
وكان النبي ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حسابا يسيرا». فقالت عائشة
رضي الله عنها: ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه» رواه
أحمد^(١). وقال الألباني: إسناده جيد.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

وصفة الحساب للمؤمن: أن الله يخلو به فيقرره بدوبه، حتى إذا رأى أنه قد هلك.
قال الله له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أعمرها لك اليوم. فيعطى كتاب حسناته.
وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على

(١) مسلم (٢١٢)، والبخاري (٦٥٦٤).

(٢) أحمد ٤٨/٦، وابن حبان ٧٣٧٢/١٦، والحاكم ٥٧/١.

ظَهَرُوا ۖ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ [الاشفاق: ٧ - ١٢] .

ربهم ألا لعنة الله على الظالمين . متفق عليه من حديث ابن عمر .

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ﷺ ، وهم سبعون ألفاً من هذه الأمة منهم عكاشة بن محصن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب . متفق عليه .
وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعاً أن مع كل واحد سبعين ألفاً . قال ابن كثير : حديث صحيح . وذكر له شواهد .

وأول من يحاسب هذه الأمة ؛ لقول النبي ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق » متفق عليه ، وروى ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً : « نحن آخر الأمم وأول من يحاسب » . الحديث .

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة ؛ لقول النبي ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبراني في « الأوسط » وسنده لا بأس به إن شاء الله ، قال المنذرى في « الترغيب والترهيب » (١/٢٤٦) .

وأول ما يقضى بين الناس في الدماء ؛ لقول النبي ﷺ : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء » متفق عليه^(٧) .

(١) البخارى (٤٦٨٥) ، ومسلم (٢٧٦٨) .

(٢) البخارى (٦٥٤١) ، ومسلم (٢٢٠) .

(٣) أحمد ٢٨٠/٥ من حديث ثوبان رضى الله عنه .

(٤) البخارى (٢٣٨) ، ومسلم (٨٥٥) .

(٥) ابن ماجه (٤٢٩١) ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٣٧٤) .

(٦) أبو داود (٨٦٤) ، والسائى ٢٣٤/١ ، وابن ماجه (١٤٢٦) ، وأحمد ٢٩٠/٢ ، والطبرانى فى الأوسط (١٨٥٩) .

(٧) البخارى (١٦٧٨) ، ومسلم (١٦٧٨) .

والميزان له كِفْتَانٌ وَلِسَانٌ تُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ ، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون : ١٠٢ ، ١٠٣] .

الموازن

معنى : جمع ميزان ، وهو لعة : ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً .

وشرعاً : ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد .

وقد دل عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع السلف .

قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

وقال النبي ﷺ : « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » متفق عليه .

وأجمع السلف على ثبوت ذلك .

وهو ميزان حقيقي ، له كفتان ، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ في صاحب البطاقة قال : « فتوضع السجلات في كفة والطاقة في كفة » . الحديث رواه الترمذی وابن ماجه^(١) . قال الألبانی : إسناده صحيح .

(١) البخاری (٦٤٠٦) ، ومسلم (٢٦٩٤) .

(٢) الترمذی (٢٦٣٩) ، وابن ماجه (٤٣٠٠) ، وأحمد ٢/٢١٣ ، والحاكم ٦/١ وقال : صحيح الإسناد على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد^٩

فقال بعضهم : متعدد بحسب الأمم ، أو الأفراد ، أو الأعمال ؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعاً ، وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس .

وقال **عصمه** : هو ميزان واحد ؛ لأنه ورد في الحديث منفرداً ، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون ، وكلا الأمرين محتمل . والله أعلم .

والذي يوزن العمل ، لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها .

وقيل : صحائف العمل ؛ لحديث صاحب البطاقة .

وقيل : العامل نفسه ؛ لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » . وقال : « اقرءوا : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴾ » [الكهف: ١٠٥] . متفق عليه .

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن ، أو أن الوزن حقيقة للصحائف ، وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال ، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمة . وهذا جمع حسن والله أعلم .

نشر الدواوين :

النشر لغة : فتح الكتاب أو بث الشيء .

وشرعاً : إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها .

والدواوين جمع ديوان ، وهو لغة : الكتاب يحصى فيه الجند وبحوهم .

وشرعاً : الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل .

فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة ، فتتطير إلى الأيمان والشمائل ،

وهو ثابت بالكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة .

قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقَ كِتَبُهُ يَمِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ ﴿٨﴾ وَنَقِيبٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُسْرُورًا ۖ ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْقَ كِتَبُهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۖ﴾ [الاشقاق : ٧ - ١٢] . ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقَ كِتَبُهُ يَشْمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ بَلِّغْتَنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَّةً﴾ [الحاقة : ٢٥] .

وعن عائشة رضی الله عنها أنها سألت النبي ﷺ : هل تذكرون أهليكم ؟ قال : «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا : عند الميزان حتى يعلم أيحرف ميزانه أم يثقل ، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه ، أم في شماله ، أم وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجور » . رواه أبو داود والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك .

صفة أخذ الكتاب :

المؤمن يأخذ كتابه يمينه فيفرح ويستبشر ويقول : ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً﴾ [الحاقة : ١٩] .

والكافر يأخذه بشماله ، أو من وراء ظهره ، فيدعو بالويل والثبور ويقول : ﴿بَلِّغْتَنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَّةً﴾ [الحاقة : ٢٥ ، ٢٦] .

٢٠- وسيد محمد ﷺ حوض في القيمة مؤدئاً يدعى من شئ، وحسب من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

الحوض :

حوض لغة الجمع . يقال : حاض الماء يحوضه إذا جمعه ، ويطلق على مجتمع الماء .

وشرعاً حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ .
ودل عليه السنة المتواترة ، وأجمع عليه أهل السنة .
قال النبي ﷺ : « إني فرطكم على الحوض » . متفق عليه .
وأجمع السلف أهل السنة على ثبوته ، وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض .

ونرد عليهم بأمرين :

١- الأحاديث المتواترة عن الرسول ﷺ .

٢- إجماع أهل السنة على ذلك .

صفة الحوض :

طوله شهر ، وعرضه شهر ، وزواياه سواء ، وآتيته كنجوم السماء ، وماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب من ريح المسك ، فيه ميزابان يمدانه من الجنة ، أحدهما من ذهب ، والثاني من فضة ، يردُّه المؤمنون من أمة محمد ﷺ ، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ، وكل هذا ثابت في « الصحيحين » أو أحدهما^١ .

وهو موجود الآن؛ لقوله ﷺ : « وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن » رواه البخاري^٢ .

واستمداده من الكوثر؛ لقوله ﷺ : « وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في

(١) البخاري (١٣٤٤) ، ومسلم (٢٢٩٦) .

(٢) البخاري (٦٥٧٥ - ٦٥٩٣) ، ومسلم (٢٢٨٩ - ٢٣٠٥) .

(٣) البخاري (١٢٧٩) .

والصراط حقَّ تَجُوزُهُ الأبرارُ، وَيَزُلُّ عَنْهُ الفجاءُ.

حوضي . رواه أحمد . قال ابن كثير : وهو حسن الإسناد والمتن .

ولكل نبي حوض ، ولكن حوض النبي ﷺ أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة ؛ لقول النبي ﷺ : « إن لكل نبي حوضاً ، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة ، وإنني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة » . رواه الترمذي ^(١) وقال : غريب ، وروى ذلك ابن أبي الدنيا وابن ماجه من حديث أبي سعيد ، وفيه ضعف لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق .

الصراط :

الصراط لغة : الطريق .

وشرعاً . الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة .

وهو ثابت بالكتاب ، والسنة ، وقول السلف .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مریم: ٧١] . فسرّها عبد الله بن مسعود ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، بالمرور على الصراط .

وفسرّها جماعة ، منهم ابن عباس ، بالدخول في النار لكن ينجون منها .

وقال النبي ﷺ : « ثم يضرب الحسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سلم سلم » متفق عليه ^(٢) .

واتفق أهل السنة على إثباته .

صفة الصراط :

سئل النبي ﷺ عن الصراط فقال : « مدحضة مزلة ، عليها خطاطيف وكلاليب ،

(١) أحمد ٣٩٣/٥ .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) ، وابن ماجه (٤٣٠١) ، والطبراني ٣٨٨١/٧ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٨٩) .

(٣) البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) .

وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان» رواه البخارى .

وله من حديث أبى هريرة: «وبه كلاليب مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، يخطف الناس بأعمالهم». وفى «صحيح مسلم» من حديث أبى سعيد رضى الله عنه قال: بلغنى أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف. وروى الإمام أحمد نحوه عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً.

العبور على الصراط وكيفيته:

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم؛ لحديث أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ، وفيه: «فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس فى جهنم» متفق عليه.

وفى «صحيح مسلم»: «تجرى بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً».

وفى صحيح البخارى: «حتى يمر آخرهم يسحب سحباً».

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ، ومن الأمم أمته؛ لقول النبى ﷺ: «فأكون أنا وأمتى أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم» رواه البخارى^(١).

(١) البخارى ٢٧٠٧/٦ .

(٢) مسلم (١٩٥) .

(٣) البخارى (٧٤٣٧) .

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ، فالجنة دارُ أوليائه ، والنار عقابٌ لأعدائه ، وأهل الجنة فيها مُخلَّدون ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ حَقٌّ ﴾ ٢١ لَا يُفَرِّقُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿ [الزخرف : ٧٤ ، ٧٥] .

الجنة والنار :

الجنة لغة : البستان الكثير الأشجار .

وشرعاً : الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين .

والنار لغة : معروفة .

وشرعاً : الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين .

وهما مخلوقتان الآن ؛ لقوله تعالى في الجنة : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران ١٣٣] . وفي النار : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤] . والإعداد : التهيئة . ولقوله ﷺ حين صلى صلاة الكسوف : « إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر كالיום منظرًا قط أفظع منها » متفق عليه .

والجنة والنار لا تفنيان ؛ لقوله : ﴿ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [البقرة: ٨] ، والآيات في تأييد الخلود في الجنة كثيرة .

وأما في النار فذكر في ثلاثة مواضع : في « النساء » : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَفْرِجَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ ١٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿ [النساء : ١٦٨ ، ١٦٩] .

وفي « الأحزاب » : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ ٦١ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿ [الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥] .

وفي « الجن » : ﴿ وَمَنْ يَمِصْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣] .

ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، ويذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: «يأهل الجنة خلود ولا موت، ويأهل النار خلود ولا موت» .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] .

مكان الجنة والنار:

الجنة في أعلى عليين؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْزَارِ لَفِي عَلَيْنِ﴾ [المطففين: ١٨] .

وقوله ﷺ في حديث الرأب بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر: «فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض» .

والنار في أسفل سافلين؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْزَارِ لَفِي سِجِّينِ﴾ [المطففين: ٧] .
وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب الساق: «فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عدي في سجين في الأرض السفلى» .

أهل الجنة وأهل النار:

أهل الجنة كل مؤمن تقى؛ لأنهم أولياء الله، قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] . ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١] .
وأهل النار كل كافر شقى، قال الله تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [النقرة: ٢٤] .
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾ [هود: ١٠٦] .

ذبح الموت:

الموت زوال الحياة، وكل نفس ذائقة الموت، وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية، ولكن الله تعالى يجعله شيئاً مريئاً مجسماً ويدبح بين الجنة والنار؛ لحديث أبي



سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « يوتى بالموت كهيفة كبش أملح ، فينادى مناد : يا أهل الجنة . فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، ثم ينادى : يا أهل النار . فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت . وكلهم قد رآه . فيذبح . ثم يقول : يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت » . ثم قرأ : ﴿ وَأَلَدَتْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْوَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مریم: ٣٩] . أخرجه البخارى فى تفسير هذه الآية ، وروى نحوه فى صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعاً .

فصول في مسائل عقيدية متفرقة

٢١- ومحمد رسول الله ﷺ حاتم كنيس ، وسيد مرسس ، لا يصح إيمان

فصل في حقوق النبي ﷺ وأصحابه

أفضل الخلق عند الله الرسل ، ثم النبيون ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم الصالحون . وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] .

وأفضل الرسل أولو العزم منهم ، وهم حمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، عليهم الصلوات من الله والتسليم ، وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في « الأحزاب » : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧] .

وفي « الشورى » : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ [الشورى ١٣] .

وأفضلهم محمد ﷺ ؛ لقوله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة » متفق عليه ، وصلاتهم خلفه ليلة المعراج وغير ذلك من الأدلة .

ثم إبراهيم ؛ لأنه أبو الأنبياء ، وملته أصل الملل ، ثم موسى ؛ لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم ، ثم نوح وعيسى لا يعجز المفاصلة بينهما ؛ لأن لكل منهما مزية .

عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، ولا يُقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته. صاحب لواء الحمد، والمقام المحمود، والحوض المورود، وهو إمام البين وخطيئهم، وصاحب شفاعتهم.

خصائص النبي ﷺ :

خص من خصائص نكح عسى ما ذكر سوف فيه

١- خاتم النبيين؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

٢- سيد المرسلين وسبق دليله.

٣- لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]. وغيره من الأنبياء يعثون إلى أقوام معينين كل إلى قومه.

٤- لا يقضى بين الناس إلا بشفاعته، وسبق دليل ذلك في الشفاعة.

٥- سبق أمته الأمم في دخول الجنة؛ لعموم قوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة». وسبق.

٦- صاحب لواء الحمد، يحمله ﷺ يوم القيامة ويكون الحامدون تحته، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويبدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تشق عنه الأرض ولا فخر» رواه الترمذى، وقد روى الأولى والأخيرة مسلم^(١).

٧- صاحب المقام المحمود، أى: العمل الذى يحمده عليه الخالق والمخلوق؛ لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا مِّن مَّكَامٍ تَحْمَدُونَهَا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وهذا المقام هو ما

(١) مسلم (٢٢٧٨)، والترمذى ١/ ٢٨١.

٢٢- أمته خير الأمم ، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام .
وأفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمرُ الفاروقُ ، ثم عثمانُ ذو التوريس ، ثم عليُّ
المرتضى ، رضى الله عنهم .

يحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعة وغيرها .

٨- صاحب الحوض المورود ، والمراد الحوض الكبير الكثير وارده ، أما مجرد
الحياض فقد مر أن لكل نبي حوضا .

٩- ١١- إمام النبى ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ؛ لحديث أبى بن كعب أن
النبي ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبىين وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ،
غير فخر » . رواه الترمذى وحسنه ^(١) .

١٢- أمته خير الأمم ؛ لقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾
[أن عمران: ١١٠] . فأما قوله تعالى : ﴿ يَتَّبِعْ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا يَتَقَى آلِيَّ أَنْتُمْ عَلَىٰ عَيْتِكُمْ وَأَنِّي
فَضَّلْتُكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ [السجدة: ٤٧] . فالمراد عالمو زمانهم .

فضائل الصحابة :

الصحابي : من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك .

وأصحاب النبي ﷺ أفضل أصحاب الأنبياء ؛ لقول النبي ﷺ : « خير الناس
قرنى » . الحديث رواه البخارى ^(٢) وغيره .

وأفضل الصحابة المهاجرون ؛ لجمعهم بين الهجرة والبصرة ، ثم الأنصار .
وأفضل المهاجرين الخلفاء الأربعة الراشدون : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ،
رضى الله عنهم .

(١) الترمذى (٣٦١٣) ، وابن ماجه (٤٣١٤) ، وأحمد ١٣٧/٥ ، والحاكم ١ ، ٧١ ، وحسنه الألبانى فى
صحيح ابن ماجه .

(٢) البخارى (٣٦٥٠) ، ومسلم (٢٥٢٣) .

فأبو بكر هو الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر من بني تيم بن مرة بن كعب ، أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال وصاحبه في الهجرة ، ونائبه في الصلاة والحج ، وخليفته في أمته ، أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة : عثمان ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣هـ عن ٦٣ سنة ، وهؤلاء الخمسة مع أبي بكر ، وعلى بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، هم الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام . قاله ابن إسحاق . يعنى من المذكور بعد الرسالة .

وعمر هو أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب من بني عدى بن كعب بن لؤى ، أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده . استخلفه أبو بكر على الأمة فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قتل شهيدا في ذى الحجة سنة ٢٣هـ عن ٦٣ سنة .

وعثمان هو أبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، كان غنيا سخيا ، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قتل شهيدا في ذى الحجة سنة ٣٥هـ عن ٩٠ سنة على أحد الأقوال .

وعلى وهو أبو الحسن على بن أبي طالب . واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب ، أول من أسلم من العلماء ، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه ، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضى الله عنهما ، فكان هو الخليفة شرعا إلى أن قتل شهيدا في رمضان سنة ٤٠هـ عن ٦٣ سنة .

وأقصر هؤلاء الأربعة أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، لحديث ابن عمر رضى الله عنهما : « كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ ، فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن

لِما رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَتَّى : أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ .
وَصَحَّحَ الرَّوَاةُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ بَيْتِهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ، وَلَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُ الثَّالِثَ ^(١) .

وَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » .

وَهُوَ أَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ لِفَضْلِهِ وَسَابِقِيهِ ، وَتَقْدِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَاجْتِمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ .

الخطاب ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ ^(٢) . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَلَأَبَى دَاوُدَ ^(٣) : « كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى : أَفْضَلُ أُمَّةٍ سَبَى ﷺ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمَانُ » . زَادَ الطَّبْرَانِيُّ فِي رِوَايَةٍ : « فَيَسْمَعُ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يَنْكُرُهُ » .

هَذَا وَلَمْ أَجِدِ اللَّفْظَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ بَرِيذَةً عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ .

وَأَحَقُّهُمْ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدَّمَهُ فِي الصَّلَاةِ ، وَلِأَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَحْمَعُوا عَلَى تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ وَلَا يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَى ضَلَالَةٍ ، ثُمَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَلِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ عَهْدَ بِالْخِلَافَةِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِفَضْلِهِ ،

(١) ضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ (٢٩٠٤) .

(٢) الْبُخَارِيُّ (٣٦٥٥) ، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٦٢٧) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٧٠٧) .

(٣) أَبُو دَاوُدَ (٤٦٢٨) .

ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله ، وعهد أبي بكر إليه .
 ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له .
 ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه .
 وهؤلاء الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين قال النبي ﷺ فيهم :
 «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، غصوا عليها
 بالنواجز» .
 وقال ﷺ : « الخلافة من بعدى ثلاثون سنة »^(١) . فكان آخرها خلافة علي
 رضي الله عنه .

وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون في هذا البيت .
 علي وعثمان وسعد وطلحة زبير وذو عوف رجال المشورة
 ثم علي رضي الله عنه لفضله ، وإجماع أهل عصره عليه .
 وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبي ﷺ : «عليكم
 بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، غصوا عليها بالنواجز» .
 وقال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » . رواه أحمد وأبو داود والترمذي . قال
 الألباني : وإسناده حسن .
 فكان آخرها خلافة علي ، هكذا قال المؤلف وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه ،
 أو لم يعتبرها حيث إنه رضي الله عنه تنازل عنها .
 فخلافة أبي بكر رضي الله عنه ستار وثلاثة أشهر وتسع ليال ، من ١٣ ربيع الأول
 سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ .

(١) أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، والسنائي (٥٢)، وأحمد ٢٢١/٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

٢٣- ونشهد لهجرة الحجة كما شهد لهم نبي ﷺ فقال: «أبو بكر في

وخلافة عمر رضى الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام ، من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣هـ.

وخلافة عثمان رضى الله عنه اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوما ، من ١ محرم سنة ٢٤هـ إلى ذى الحجة سنة ٣٥هـ.

وخلافة علي رضى الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر ، من ١٩ ذى الحجة سنة ٣٥هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

ثم بويع الحسن بن علي رضى الله عنهما يوم مات أبوه على رضى الله عنه ، وفي ربيع الأول سنة ٤١هـ سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبي ﷺ في قوله: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة» .

وقوله في الحسن: «إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» . رواه البخارى^(١) .

الشهادة بالجنة أو النار:

الشهادة بالجنة أو النار ليس للعقل فيها مدخل ، فهي موقوفة على الشرع ، فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له ، ومن لا فلا ، لكننا نرجو للمحسن ، ونخاف على المسيء .

وتنقسم الشهادة بالجنة أو النار إلى قسمين عامة وخاصة .

فالعامة: هي المتعلقة بالوصف ، مثل أنشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة أو لكل كافر بأنه في النار ، أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سببا لدخول الجنة أو النار .

(١) البخارى (٢٧٠٤) ، وأبو داود (٤٦٦٢) ، والترمذى (٣٧٧٣) .

الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليُّ في الجنة، وطلحةُ في الجنة، والزبيرُ في الجنة، وسعدُ في الجنة، وسعيدُ في الجنة، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ في الجنة، وأبو عُبَيْدَةَ بنُ الجراحِ في الجنة^(١).

وخاصة: هي المعلقة بشخص مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة، أو لشخص معين بأنه في النار، فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله.

المعيّنون من أهل الجنة:

المعيّنون من أهل الجنة كثيرون ومنهم: العشرة المبشرون بالجنة وحصوا بهذا الوصف لأن النبي ﷺ جمعهم في حديث واحد فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». رواه الترمذی وصححه الألبانی.

وقد سبق الكلام على الخلفاء الأربعة، وأما الباقيون فجمعوا في هذا البيت:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فهو والزبير الممدح
فطلحة هو ابن عبيد الله من بني تيم بن مرة، أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قتل يوم الجمل في جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ عن ٦٤ سنة.

والزبير هو ابن العوام من بني قصي بن كلاب، ابن عمه رسول الله ﷺ، انصرف يوم الجمل عن قتال علي فلقية ابن جرموز فقتله في جمادى الأولى سنة ٣٦هـ عن ٦٧ سنة.

وعبد الرحمن بن عوف من بني زهرة بن كلاب، توفي سنة ٣٢هـ عن ٧٢ سنة ودفن بالقيع.

(١) الترمذی (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣).

وكلُّ من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها كقوله : « الحسنُ والحسينُ سيِّدَا شبابِ أهلِ الجنة »^(١) .
وقوله لثابت بن قيس : « إنه من أهلِ الجنة »^(٢) .

وسعد بن أبي وقاص ، هو ابن مالك من بني عبد مناف ابن زهرة ، أول من رمى بسهم في سبيل الله ، مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ودفن بالقيع سنة ٥٥ هـ عن ٨٢ سنة .

وسعيد بن زيد ، هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ، كان من السابقين إلى الإسلام ، توفي بالعقيق ودفن بالمدينة سنة ٥١ هـ عن بضع وسبعين سنة .
أبو عبيدة هو عامر بن عبد الله بن الجراح من بني فهر ، من السابقين إلى الإسلام ، توفي في الأردن في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ عن ٥٨ سنة .

وممن شهد له النبي ﷺ بالجنة الحسن ، والحسين ، وثابت بن قيس .
قال النبي ﷺ : « الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة » . رواه الترمذی ، وقال : حسن صحيح .
قال ﷺ في ثابت بن قيس : « إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة » رواه البخاري .

فالحسن سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ، ولد في ١٥ رمضان سنة ٣ هـ ، ومات في المدينة ودفن في البقيع في ربيع الأول سنة ٥٠ هـ .

والحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، وهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله

(١) الترمذی (٣٧٦٨) ، وابن ماجه (١١٨) ، وأحمد ٣/٣ ، وذكره الأنبا في السلسلة الصحيحة (٧٩٦) .

(٢) البخاري (٣٦١٣) ، ومسلم (١١٩) .

٢٤ - ولا تجرم لأحد من أهل نفسه حبه ولا - . إلا من جرم له الرسول ﷺ ، لكننا نرجو للمُخْشِينَ ، ونخافُ على المسيء .
ولا نُكْفِرُ أحداً من أهل القبلة بذنب ، ولا نُخْرِجُهُ عن الإسلام بعملٍ .

عنه ولد في شعبان سنة ٤٤هـ ، وقتل في كربلاء في ١٠ محرم سنة ٦١هـ .
وثابت وهو ابن قيس بن شماس الأنصاري الحزرجي خطيب الأنصار ، قتل شهيداً
يوم اليمامة سنة ١١هـ في آخرها ، أو أول سنة ١٢هـ .
المعِينون من أهل النار في الكتاب والسنة :

من المعِينين بالقرآن : أبو لهب عبد العري بن عبد المطب عم النبي ﷺ ، وامرأته
أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ؛ لقوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ
وَتَبَّتْ ﴾ [التمد: ١] إلى آخر السورة .
ومن المعِينين بالسنة : أبو طالب عبد مناف بن عبد المطب ؛ لقول النبي ﷺ :
« أهون أهل النار عدايا أبو طالب ، وهو منتعل نعلين يغلي مهما دماغه » . رواه
البخاري^(١) .

ومنهم عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي ، قال النبي ﷺ : « رأيت يجر أعماءه في
النار » . رواه البخاري وغيره^(٢) .

تكفير أهل القبلة بالمعاصي :

أهل القبلة هم المسلمون المصلون إليها ، لا يكفرون بفعل الكبائر ، ولا يخرجون
من الإسلام بذلك ، ولا يخلدون في النار ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
افْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا تَبَّهِنَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾
[الحجرات ٩ ، ١٠] . فائت الأخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكسائر ، ولو كان كفراً
لانتفت الأخوة الإيمانية .

(١) البخاري (٦٥٦٤) ، ومسلم (٢١٢) .

(٢) البخاري (٣٥٢١) ، ومسلم (٢٨٥٦) ، وأحمد ٣٦٦/٢ .

ونزى الحج والجهاد ماضيين مع طاعة كل إمام ، برًّا كان أو فاجرًا ، وصلاة الجمعة خلّفهم جائزة .

قال أنس : قال النبي ﷺ : « ثلاث من أصل الإيمان ؛ الكفّ عمّن قال : لا إله إلا الله ، ولا نكفره بذنب ، ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماضٍ منذ بعثنى الله عز وجلّ حتى يُقاتل آخر أمتي الدجال لا يُطْلِه جورٌ جائر ، ولا عدلٌ عادل . والإيمان بالأقدار » رواه أبو داود^(١) .

٢٥ ومن سنة نبي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم ، وذكر محاسنهم ،

وقال النبي ﷺ : « يقول الله تعالى : من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه » . يعنى من النار . متفق عليه^(٢) .

وخالف في هذا طائفتان :

الأولى : الخوارج :

قالوا : فاعل الكبيرة كافر خالد فى النار .

الثانية : المعتزلة :

قالوا : فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر فى منزلة بين منزلتين ، وهو خالد فى النار .

ونرد على الطائفتين بما يأتى :

١- مخالفتهم نصوص الكتاب ، والسنة .

٢- مخالفتهم لإجماع السلف .

حقوق الصحابة رضى الله عنهم :

للصحابة رضى الله عنهم فضل عظيم على هذه الأمة حيث قاموا ببصرة الله

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٢) ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع .

(٢) البخارى (٢٢) ، ومسلم (١٨٤) .

والتَّزَكُّهُمْ عَلَيْهِمْ ، والاستغفارُ لَهُمْ ، والكفُّ عن ذكرِ مساوئِهِمْ ، وما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، واعتقادُ فضليهِمْ ، ومعرفةُ سابقَتِهِمْ .

قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا عَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] .

وفرى به نعى : ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [الفتح: ٢٩] .

وقال السيوطي رحمه الله : « لا تسبوا أحداً من أصحابي ؛ فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مدَّ أحدِهِمْ ولا نصيفه »^(١) .

ورسوله ، والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وحفظ دين الله بحفظ كتابه ، وسنة رسوله ﷺ ، علماً ، وعملاً ، وتعليماً حتى بلغوه الأمة نقياً طرياً .

وقد أثنى الله عليهم في كتابه أعظم ثناء حيث يقول في سورة «الفتح» : ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ . إلى آخر السورة .

وحمى رسول الله ﷺ حمى كرامتهم حيث يقول ﷺ : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدِهِمْ ولا نصيفه » . متفق عليه . فحقوقهم على الأمة من أعظم الحقوق ، فلهم على الأمة :

١ - محبتهم بالقلب ، والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان .

٢ - الترحم عليهم ، والاستغفار لهم ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا عَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] .

٢٦- ومن الشبهة تُرْصَى عن رُوحِ رسولِ الله ﷺ، أمهات المؤمنين

٣- الكف عن مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل، وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور؛ لقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي». الحديث.

حكم سب الصحابة:

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضى كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضى عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتفحيع، ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبهل فلا يكفر، ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الصارم المسلول»، ونقل عن أحمد (ص ٥٧٣) قوله: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، وإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع».

حقوق زوجات النبي ﷺ:

زوجات النبي ﷺ، زوجاته في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين، ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين، فهن من آل بيته طاهرات، مطهرات، طيبات، مطيبات، بريئات، مبرآت من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن، فالطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، فرضى الله عنهن وأرضاهن أجمعين، وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين.

زوجاته ﷺ اللاتي كان فراقهن بالوفاة وهن:

١- خديجة بنت خويلد أم أولاده ما عدا إبراهيم تزوجها رسول الله ﷺ بعد

المُطَهَّرَاتِ الْمُتَبَرَّاتِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ.

روجيس : الأول عتيق بن عابد . والثاني أبو هالة التميمي ، ولم يتزوج ﷺ عليها حتى ماتت سنة ١٠هـ من البعثة قبل المعراج .

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أربها ﷺ في المنام مرتين أو ثلاثا . وقيل : هذه امرأتك . فعقد عليها ولها ست سنين بمكة ، ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين ، توفيت سنة ٥٨هـ .

٣- سودة بنت زمعة العامرية ، تزوجها بعد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، توفيت آخر خلافة عمر وقيل : سنة ٥٤هـ .

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب ، تزوجها ﷺ بعد زوج مسلم هو حنيس بن حذافة الذي قتل في أحد ، وماتت سنة ٤١هـ .

٥- زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين ، تزوجها بعد استشهاد زوجها عبد الله ابن جحش في أحد ، وماتت سنة ٤هـ بعد زواجها بيسير .

٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية ، تزوجها بعد موت زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد من جراحة أصابته في أحد ، وماتت سنة ٦١هـ .

٧- زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته ﷺ ، تزوجها بعد مولاه ريد بن حارثة سنة ٥هـ ، وماتت سنة ٢٠هـ .

٨- جويرية بنت الحارث الخزاعية ، تزوجها بعد زوجها مسافع بن صفوان وقيل : مالك بن صفوان . سنة ٦هـ ، وماتت سنة ٥٦هـ .

٩- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، تزوجها بعد روج أسلم ثم تنصر ، هو عبيد الله بن جحش ، وماتت في المدينة في خلافة أخيها سنة ٤٤هـ .

١٠- صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير من ذرية هارون بن عمران عليه السلام ، أعتقها وحمل عتقها صداقها بعد زواجهما سلام بن مشكم . والثاني كنانة ابن أبي الحقيق ، بعد فتح خيبر سنة ٦هـ ، وماتت سنة ٥٠هـ .

أفضلهم خديجة بنت خويلد ، وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ، فمن قدفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم .

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية ، تزوجها سنة ٧هـ في عمرة القضاء بعد زوجين : الأول ابن عبد ياليل ، والثاني أبو رهم بن عبد العزى ، بنى بها في سرف ، وماتت فيه سنة ٥١هـ .

فهذه زوجات النبي ﷺ اللاتي كان فراقهن بالوفاة ، اثنتان توفيتا قبله وهما : خديجة ، وزينب بنت خزيمة ، وتسع توفى عنهن وهن البواقي .
وبقى اثنتان لم يدخل بهما ، ولا يثبت لهما من الأحكام والفصيلة ما يثبت للسابقات وهما :

١- أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها النبي ﷺ ثم فارقها ، واختلف في سبب الفراق ، فقال ابن إسحاق : إنه وحده في كشحها بياضا ففارقها فتزوجها بعده المهاجر بن أبي أمية .

٢- أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية وهي التي قالت : « أعود بالله منك » ففارقها والله أعلم .

وأفضل زوجات النبي ﷺ خديجة وعائشة رضى الله عنهما ، ولكل منهما مزية على الأخرى ، فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة والنصرة ، ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم ، ونفع الأمة ، وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة « النور » .

قذف أمهات المؤمنين :

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر ؛ لأنه تكذيب للقرآن .
وفى قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم : أصحهما أنه كفر ؛ لأنه قدح في النبي ﷺ ، فإن الخبيثات للخبثين .

ومعاوية خال المؤمنين ، وكاتبُ وحي الله ، أحدُ خلفاء المسلمين رضى الله عنهم .

٢٧- ومن شئتَ اسمعْ وإصاعه لأئمة المسلمين وأمرِ المؤمنين نزلهم وافرهم ما لم يأثمروا بمعصية الله ؛ فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله .
ومن وليَ الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به ، أو غلبهم بسيفه حتى صار

معاوية بن أبي سفيان :

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب ، ولد قبل البعثة بخمسين سنة ، وأسلم عام الفتح وقيل : أسلم بعد الحديبية وكنم إسلامه ، ولاه عمر الشام واستمر عليه ، وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام ٣٧هـ ، واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن ابن علي سنة ٤١هـ ، كان يكتب للنبي ﷺ ، ومن جملة كُتّاب الوحي ، توفي في رجب سنة ٦٠هـ عن ٧٨ سنة . وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونه ويقذحون فيه ، وسماه خال المؤمنين ؛ لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢/٢٩٩) نزاعا بين العلماء : هل يقال لإخوة أمهات المؤمنين : أخوال المؤمنين أم لا ؟

الخلافة :

الخلافة منصب كبير ، ومسئولية عظيمة ، وهي تولى تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسئول الأول في ذلك ، وهي فرض كفاية ؛ لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها .

وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة :

الأول . النص عليه من الخليفة السابق ، كما في خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضى الله عنه .

الثاني . اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق ، كما في خلافة عثمان رضى الله عنه ، فإنها باحتماع من أهل الحل والعقد المعيين من قبل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، أم غير معينين ، كما في خلافة أبي بكر رضى الله عنه على

الخليفة، وشُمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته، وحُرِّمَتْ مخالفته والخروج عليه، وشقُّ عصا المسلمين.

أحد الأقوال، وكما في خلافة علي رضي الله عنه.

الثالث القهر والغلبة كما في خلافة عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له.

حكم طاعة الخليفة:

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة في غير معصية الله.

لقلوه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

ولقلوه ﷺ: «السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». متفق عليه^(١).

وسواء كان الإمام برا، وهو القائم بأمر الله فعلا وتركيا، أو فاجرا، وهو الفاسق؛ لقلوه ﷺ: «ألا من ولي عليه وإل فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة». رواه مسلم^(٢).

والحج والجهاد مع الأئمة ماضيان نافذان، وصلاة الجمعة حلفهم حائزة، سواء كانوا أبرارا أو فجارا؛ لأن مخالفتهم في ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد عليهم.

والحديث الذي ذكره المؤلف «ثلاث من أصل الإيمان... إلخ ضعيف كما رمر له السيوطي في «الجامع الصغير»، وفيه راو قال المزى: إنه مجهول. وقال المنذرى في «مختصر أبى داود»: شبه مجهول.

(١) البخارى (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٢) مسلم (١٨٥٥)، وأحمد ٢٤/٦، ٢٨، والدارمى ٣٢٤/٢.

٢٨ ومن سئة هجر أهل بدع . ومبايئتهم وترك الجدال والخصومات في الدين ، وترك النظر في كتب المبتدعة ، والإصغاء إلى كلامهم .

والثلاث الخصال المذكورة فيه هي : « الكف عن قال : لا إله إلا الله » والثانية : « الجهاد ماض » إلخ . والثالثة : « الإيمان بالأقدار » .

والخروج على الإمام محرم :

لقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه : « ياينا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان » . متفق عليه^(١) .

وقال ﷺ : « يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برئ ، ومن كره فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع » . قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : « لا ، ما صلوا ، لا ، ما صلوا » . أى من كره بقلبه وأنكر بقلبه . رواه مسلم^(٢) .

ومن فوائد الحديث أن ترك الصلاة كفر بواح ؛ لأن النبي ﷺ لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح ، وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة ، فدل على أن تركها مبيع لقتالهم ، وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواح كما في حديث عبادة .

هجران أهل البدع :

الهجران مصدر هجر ، وهو لغة : الترك .

والمراد بهجران أهل البدع : الابتعاد عنهم ، وترك محبتهم ، وموالاتهم ، والسلام عليهم ، وزيارتهم ، وعبادتهم ، ونحو ذلك .

وهجران أهل البدع واجب ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة ٢٢] . ولأن النبي ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك .

(١) البخارى (٧١٩٩) ، ومسلم (١٧٠٩) .

(٢) مسلم (١٨٥٤) ، وأبو داود (٤٧٦٠) .

وكلُّ محدثة في الدين بدعةٌ .

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك ، وربما يكون ذلك مطلوباً ؛ لقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [التحل: ١٢٥] . وهذا قد يكون بالمجالسة ، والمشافهة ، وقد يكون بالمراسلة ، والمكاتبة .

ومن هجر أهل البدع : ترك النظر في كتبهم خوفاً من الفتنة بها ، أو ترويعها بين الناس ، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب ؛ لقوله ﷺ في الدحال : « من سمع به فليأمن عنه ، فوالله إن الرجل لياتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه ، مما يبعث به من الشبهات » . رواه أبو داود^(١) . قال الألباني : وإسناده صحيح .

لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به ، وكان قادراً على الرد عليهم ، بل ربما كان واجباً ؛ لأن رد البدعة واجب ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

الجدال والخصام في الدين :

الجدل مصدر جادل ، والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه ، وفي « القاموس » الجدل : اللدد في الخصومة ، والخصام : المحادلة ، فهما بمعنى واحد .

وينقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين :

الأول أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل ، وهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً بحسب الحال ؛ لقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

الثاني أن يكون الغرض منه التعميت ، أو الانتصار للنفس أو للباطل ، فهذا قبيح منهى عنه ؛ لقوله تعالى : ﴿مَا يَجْدِلُ فِيَّ آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [عام: ٤] .

(١) أبو داود (٤٣١٩) ، وأحمد ٤/ ٤٣١ ، والحاكم ٤/ ٥٣١ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه . وسكت عنه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

وكلُّ مُتَّبِعٍ بغيرِ الإسلامِ والسنةِ مبتدعٌ ، كالرافضة ، والجهمية ،

وقوله : ﴿ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَحْذَرْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [عامر: ٥] .

علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم :

لأهل البدع علامات منها :

١- أنهم يتصمون بغير الإسلام والسنة ، بما يحدثونه من البدع القولية ، والفعلية ، والعقيدية .

٢- أنهم يتعصبون لأرائهم ، فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم .

٣- أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين .

ومن طوائفهم :

١- الرافضة :

وهم الذين يغفلون في آل البيت ويكفرون من عداهم من الصحابة ، أو يفسقونهم ، وهم فرق شتى ، فمنهم العلالة الذين ادعوا أن عليا إله ، ومنهم دون ذلك .

وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبد الله بن سبأ : أنت الإله . فأمر علي رضي الله عنه بإحراقهم ، وهرب زعيمهم عبد الله بن سبأ إلى المدائن .

ومذهبهم في الصفات مختلف : فمنهم المشبه ، ومنهم المعطل ، ومنهم المعتدل .

وسموا رافضة ؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سأله عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فترحم عليهما ، فرفضوه وأبعدوا عنه .

وسموا أنفسهم شيعة ؛ لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقوقهم في الإمامة .

٢- الجهمية :

نسبة إلى الجهم بن صفوان الذي قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة ١٢١ هـ .

مذهبهم في الصفات التعطيل والنفي ، وفي القدر القول بالجبر ، وفي الإيمان القول بالإرجاء وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان ، ففاعل

والخوارج، والقدرية، والمرجئية، والمعتزلة،

الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، فهم معطلة، جبرية، مرجئة، وهم فرق كثيرة.

٣- الخوارج:

وهم الذين خرجوا لقتال علي بن أبي طالب بسبب التحكيم. مذهبهم التبرؤ من عثمان وعلي، والخروج على الإمام إذا خالف السنة وتكفير فاعل الكبيرة، وتخليده في النار، وهم فرق عديدة.

٤- القدرية:

وهم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهر القول به معبد الجهنى في أواخر عصر الصحابة، تلقاه عن رجل مجوسى في البصرة.

وهم فرقتان غلاة، وغير غلاة:

فالغلاة: ينكرون علم الله، وإرادته، وقدرته، وخلقه لأفعال العبد، وهؤلاء انقرصوا أو كادوا.

وعبر الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد، لكن يكرون وقوعها بإرادة الله، وقدرته، وخلقه، وهو الذى استقر عليه مذهبهم.

٥- المرجئة:

وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان، أى تأخير عنه، فليس العمل عندهم من الإيمان، والإيمان مجرد الإقرار بالقلب؛ فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصى أو ترك ما ترك من الطاعات، وإذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل، وهذا مذهب الجهمية، وهو مع مذهب الخوارج على طرفى نقيض.

٦- المعتزلة:

أتباع واصل بن عطاء الذى اعتزل مجلس الحسن البصرى، وقرر أن الفاسق فى

والكرامية، والسّالمية، والكلامية، ونظرائهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

٢٩- وقد أسس في هذه الفروع أربع كتبه في أربع فروع فليس محذوم.

منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر، وهو مخلد في النار، وتابعه في ذلك عمرو بن عبيد. ومذهبهم في الصفات التعطيل كالجهمية، وفي القدر قدرية ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد، وفي فاعل الكبيرة أنه مخلد في النار وحارج من الإيمان في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، وهم عكس الجهمية في هذين الأصلين.

٧- الكرامية:

أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ يميلون إلى التشبيه والقول بالإرجاء، وهم طوائف متعددة.

٨- السالمية:

أتباع رجل يقال له: ابن سالم، يقولون بالتشبيه. وهذه هي الطوائف التي ذكرها المؤلف ثم قال: ونظرائهم. مثل الأشعرية أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، كان في أول أمره يميل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره، ثم أعلن توبته من ذلك، وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمذهب أهل السنة رحمه الله، أما من ينتسبون إليه فبقوا على مذهب خاص يعرف بمذهب الأشعرية لا يثبتون من الصفات إلا سبعا، زعموا أن العقل دل عليها ويقولون ما عداها، وهي المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر
ولهم بدع أخرى في معنى الكلام والقدر وغير ذلك.

الخلاف في الفروع:

الفروع: جمع فرع، وهو لغة: ما بُني على غيره.

وصلاح ما لا يتعلق بالعقائد، كمسائل الطهارة والصلاة ونحوها.

فإنَّ الاختلافَ في الفروعِ رحمةٌ ، والمختلفون فيه مَحمودون في اختلافِهم مُتابون في اجتهدِهم ، واختلافُهم رحمةٌ واسعةٌ ، واتفاقُهم حجةٌ قاطعةٌ .

والاختلاف فيها ليس بملذوم حيث كان صادرا عن بية حالصة واجتهاد ، لا عن هوى وتعصب ، لأنه وقع في عهد النبي ﷺ ، ولم ينكره حيث قال في غزوة بني قريظة : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » . فحضرت الصلاة قبل وصولهم فأخر بعضهم الصلاة حتى وصلوا بي قريظة ، وصلى بعضهم حين خافوا خروج الوقت ، ولم ينكر النبي ﷺ على واحد منهم . رواه البخاري^(١) .

ولأن الاختلاف فيها موجود في الصحابة وهم خير القرون ، ولأنه لا يورث عداوة ، ولا بعضاء ، ولا تفرق كلمة ، بخلاف الاختلاف في الأصول .

وقول المؤلف : « المختلفون فيه محمودون في اختلافهم » ليس ثناء على الاختلاف فإن الاتفاق خير منه ، وإنما المراد به نفي الذم عنه ، وأن كل واحد محمود على ما قال ؛ لأنه مجتهد فيه مريد للحق ، فهو محمود على اجتهداده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد لا يصيب الحق .

وقوله : « إن الاختلاف في الفروع رحمة وإن اختلافهم رحمة واسعة » ، أي داخل في رحمة الله وعفوه حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم أكثر مما طهر لهم ، فليس عليهم حرج في هذا الاختلاف ، بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوه ، إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطأوا فلهم آخر واحد .

الإجماع وحكمه :

الإجماع لغة : العزم والاتفاق .

واصطلاحاً : اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد ﷺ على حكم شرعي بعد النبي ﷺ .

(١) البخاري (٩٤٦) ، ومسلم (١٧٧٠) .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِصِمَنَا مِنَ الْبِدْعِ وَالْفِتْنَةِ ، وَيُخَيِّنَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسَّنَةِ ، وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَيَاةِ ، وَيَحْشُرُنَا فِي زَمَرَتِهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ ، آمِينَ .

وهو حجة ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَنْزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩] . وقول النبي ﷺ : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » . رواه الترمذي ^(١) .

التقليد :

التقليد لغة : وضع القلادة في العنق .

واصطلاحاً : اتباع قول الغير بلا حجة .

وهو جائز لمن لا يصل إلى العلم بنفسه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَتَتْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [التحل: ٤٣] .

والمذاهب المشهورة أربعة :

المذهب الحنفي : وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق ، ولد سنة ٨٠هـ ، وتوفي سنة ١٥٠هـ .

المالكي : وإمامه أبو عبد الله مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، ولد سنة ٩٣هـ ، وتوفي سنة ١٧٩هـ .

الشافعي : وإمامه أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، ولد سنة ١٥٠هـ ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ .

الحنبلي : وإمامه أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، ولد سنة ١٦٤هـ ، وتوفي سنة ٢٤١هـ .

وهناك مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية ، والزيدية ، والسفانية ، وغيرهم . وكل يؤخذ من قوله ما كان صواباً ، ويترك من قوله ما كان خطأً ، ولا عصمة إلا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وهذا آخرُ المعتقِدِ .

والحمدُ لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا .



فرغ من تعليقها الفقير عمر بن غازي بن علي المقدسي الحنبلي ، عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين ، في ليلة السابع من شهر رجب الفرد سنة خمس وسبعين وسبعمائة أحسن الله تقضيها بمدينة دمشق .



نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ ظاهرا وباطنا ، وأن يتوفانا على ذلك ، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة ، ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب .

والحمد لله كثيرا ، كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعز جلاله ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

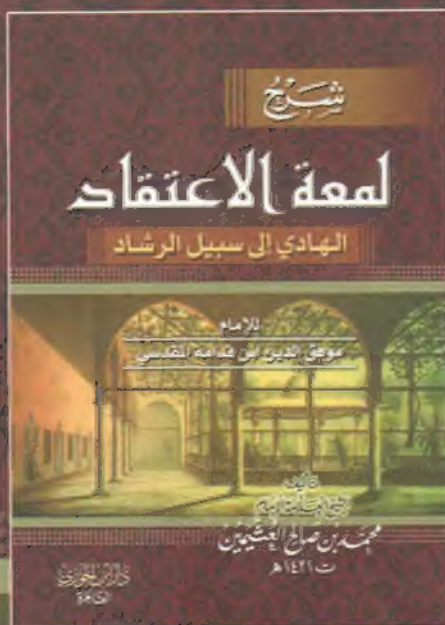
تم في عصر الجمعة الموافق ١٠/١/١٣٩٢هـ .

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله تعالى

محمد بن صالح العثيمين

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
قواعد هامة في الأسماء والصفات	٤
مقدمة لمعة الاعتقاد	٩
شرح « بسم الله الرحمن الرحيم »	٩
فصل في توحيد الأسماء والصفات	١١
فصل في كلام أئمة السلف في الصفات	١٤
فصل في الترغيب في السنة والتحذير من البدعة	١٦
فصل في ذكر بعض آيات الصفات	٢١
الصفات التي ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى	٢١
فصل في ذكر بعض أحاديث الصفات	٢٧
فصل في كلام الله تعالى	٣٤
فصل في القرآن الكريم	٣٩
فصل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة	٤٤
فصل في القضاء والقدر	٤٦
فصل في الإيمان	٥٢
فصل في السمعيات	٥٤
فصول في مسائل عقيدية متفرقة	٧٩
فصل في حقوق النبي ﷺ وأصحابه	٧٩
خصائص النبي ﷺ	٨٠
الشهادة بالجنة أو النار	٨٥
المعِينون من أهل الجنة	٨٦
المعِينون من أهل النار في الكتاب والسنة	٨٨
تكفير أهل القبلة المعاصي	٨٨
حقوق الصحابة رضي الله عنهم	٨٩
حكم سب الصحابة رضي الله عنهم	٩١
حقوق زوجات النبي ﷺ	٩١
قذف أمهات المؤمنين	٩٣
الخلافة	٩٤
هجران أهل البدع	٩٦
التقليد	١٠٢
خاتمة	١٠٣



دار ابن الجوزي

جمهورية مصر العربية - القاهرة
١٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

هاتف: ٢٥٠٦٩٩٠٣ - ٢٥٠٦٩٩٠٣ - ٢٥٠٦٩٩٠٣ - ٢٥٠٦٩٩٠٣

فاكس: ٢٥٠٦٩٩٠٣ - ٢٥٠٦٩٩٠٣ - ٢٥٠٦٩٩٠٣ - ٢٥٠٦٩٩٠٣

E-mail: dar_ebnelgawzy@yahoo.com



6 222011 500575